المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

الأخلاق عند المدرسة الوضعيّة

[أوجست كونت ومدرسته]

دراسة نقدية على ضوء الإسلام

إعداد الطالبة
عائشة علي روزي الخوتاني

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور
بركات دويدار

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة

١٤١٢ هـ
المجلد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين · وبعد ،

فهذه الرسالة بعنوان : « **الأخلاق عند المدرسة الوضعية أوجست كونت ومدرسته دراسة نقدية على ضوء الاسلام** » مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة ·

وتتكون من مقدمة ، وتمهيد ، وبابين ، وخاتمة ·

الباب الأول : في دراسة موقف المدرسة الوضعية من الأخلاق ، **والثاني** : في بيان موقف الاسلام منها ، وقد شرحت في المقدمة أهمية الموضوع ، وسبب اختياره · وعرضت في التمهيد التعريف بالأخلاق ، وبالمدرسة الوضعية ، وأشهر رجالها ·

وقد اشتمل الباب الأول على خمسة فصول هي :

نظرية المعرفة عند المدرسة الوضعية – الدين عند المدرسة الوضعية – الأخلاق بين الثبات والنسبية – الضمير الأخلاقي عند المدرسة الوضعية – موقف المدرسة الوضعية من علم الأخلاق النظري ·

وقد شرحت في هذا الباب ماذهبت اليه المدرسة الوضعية في مجال المعرفة وهو اعتبار المعرفة الحسية ، والقائمة على التجربة هي المعرفة اليقينية ، وإنكار الوحي ، وعالم الغيب ، وقد اخترع مؤسسها « أوجست كونت » دينًا سمّاه « دين الانسانية » يقوم في حقيقته على عبادة المشاهير والعظماء ·

وفي مجال الأخلاق شرحت ماذهبت إليه المدرسة الوضعية وهو اعتبار الأخلاق مجرد ظواهر اجتماعية تنبت في المجتمعات تلقائيًا ، ويوصي الوضعيون بدراسة واقع الناس الفعلي ، وأخذ الأخلاق من هذا الواقع ، وذلك بعد إنكارهم للأخلاق الدينية واعتبارها تناسب طفولة البشرية ·

وفي الباب الثاني عرضت النقد الاسلامي لهذه الآراء الضالة من خلال الفصول الآتية :

نقد موقف المدرسة الوضعية من العلم والدين على ضوء الاسلام – نقد موقف المدرسة الوضعية من الأخلاق على ضوء الاسلام – نقد المدرسة الوضعية في القول بنسبية الأخلاق على ضوء الاسلام –الأخلاق في الاسلام ·

وقد بينت في هذا الباب ردّ الاسلام على هذه الآراء الضالة ، وأثبت أنّ عالم الغيب · واقع وموجود ، وأنّ الوحي وحده هو المصدر اليقيني للمعارف الغائبة عن الحس والعقل ، وأنّ الدين والأخلاق لايمكن أن يكونا من وضع الانسان ، وأنّ الأخلاق الاسلامية هي أخلاق ثابتة لاتتغير مهما تغيّرت الظروف ، والأحوال ·

وفي الخاتمة : أشرت إلى ضرورة تنبه المسلمين إلى خطر هذه الدعوات الهدّامة التي تهدف إلى إشاعة الانحلال والفساد بين المسلمين ·

وكفى بربك هاديًا ونصيرًا ·

الطالبة	المشرف	العميد
عائشة علي روزي	د · بركات عبد الفتاح دويدار	د · علي بن نفيع العلياني

المقدمة

الحمد لله أمر بمكارم الأخلاق ، ونهى عن رذائلها في آية واحدة جامعة ، فقال تعالى ﴿ إنَّ الله يأمر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلَّكم تذكرون ﴾ . (١)

والصَّلاة والسلام على أشرف المرسلين صاحب الخلق العظيم الذي وصفه ربه بذلك في قرآن متلو في قوله تعالى : ﴿ وإنَّك لعلى خلق عظيم ﴾ . (٢) الذي أدرك للأخلاق مكانتها ، وعظيم خطرها ، وجليل مكانتها فلخّص رسالته كلها في قوله عليه الصلاة والسلام : « إنما بعثت لأتمم حسن الأخلاق » (٣) وكان عليه الصَّلاة والسلام ـ بحق المثل الأعلى ، والسراج المنير الذي تمثَّلت فيه أخلاق القرآن خير تمثيل ـ ولا غرو ـ فقد أدَّبه ربه فأحسن تأديبه ، فكان كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها ـ حين سُئلت عن أخلاقه : « كان خلقه القرآن » . (٤)

والإنسان قد كرَّمه الله تعالى ، وميَّزه على جميع المخلوقات والكائنات بنفخه من روح الله يسمو بها ، ويحلق بواسطتها في آفاق المثالية والروحانية متحلياً بمكارم الأخلاق ، وفضائل الأعمال فيحقِّق بذلك الخلافة الراشدة التي اختاره الله تعالى لها ، وأرسل رسله عليهم الصَّلاة والسَّلام واحداً إثر الآخر من أجلها .

والرسالات السماوية كلها في جوهرها ، وصميمها رسالات أخلاقية تهدف إلى السمو بالانسان ، والارتقاء به إلى أرقى مراتب الفضيلة والترفّع به عن مهاوي الرذيلة ، وهي رسالات ثابتة على عقيدة ، ومباديء وقيم عليا تكمل كل منها الأخرى إلى أن ختمها الله تعالى برسالة سيدنا محمد ﷺ .

---

(١) النحل آية ‹٨٩›

(٢) القلم آية ‹٤›

(٣) موطأ الامام مالك : كتاب حسن الخلق باب ما جاء في حسن الخلق جـ ٢ صـ ٩٠٤ .

(٤) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين ـ الجزء الأول صـ ٥١٢ .

وإلى هذه الحقيقة أشار الرسول ﷺ حين قال :

« إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه ، وأجمله إلاّ موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون هَلا وُضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيّين . (١)

فجميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين دعوا أقوامهم إلى مباديء الأخلاق العليا ، ونهوهم عن الرذائل والمنكرات ، فلم تقتصر دعواتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على الدعوة إلى توحيد الله ، وعبادته فقط ، بل امتدت في الحقيقة إلى تزكية النفوس ، واصلاحها عن طريق الدعوة إلى مكارم الأخلاق ، والنهي عن رذائلها ، والقضاء على الفوضى والانحلال الخلقي ، والفساد الذي شاع بين أقوامهم .

والأخلاق هي الدعامة الأساسيَّة التي تقوم عليها حياة الفرد والمجتمع ، ولها أهميَّة عظيمة بالنسبة للانسان لأنّ التحلي بها يؤدِّي إلى سعادته النفسية ، وطمأنينةروحه ، ويؤدّي بالتالي إلى سعادة المجتمع الانساني بأسره ، وسلامته من التحلل الخلقي ، والفوضى ، ولكي ندرك أهميَّة الأخلاق في حياة الانسان والمجتمع نتصوَّر مجتمعاً من المجتمعات تخلَّى أفراده عن مباديء الأخلاق السامية ، والقيم العليا الثابتة فماذا سيكون مصير هذا المجتمع ؟

إن الحياة في ظل هذا المجتمع ستصبح جحيماً لا يُطاق ، وذلك لأنّه لن تكون هناك ضوابط تضبط سلوك الأفراد ، وتكبح جماح شهواتهم ، ونزواتهم ، فتنطلق عندئذٍ من عقالها ولا همَّ لها إلا إرواء ظمئها ، وتحقيق مبتغاها ، مدمِّرة في سبيل ذلك أعز ما تملكه الانسانية ، وما توارثته عبر الأجيال والعصور من قيم عليا ، ومباديء أخلاقية ثابتة فتشيع نتيجة لذلك الرذائل والمنكرات بأبشع صورة لأنَّه لن يكون هناك حدُ تتوقف عنده ، وسيصبح الانسان في هذا المجتمع غير آمن لا على نفسه ، ولا على عرضه ، ولا على ماله .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب باب ١٨ الجزء الرابع صـ ١٦٣ .

وهذا ما سيؤدي بالانسانية إلى الحيرة ، والشقاء ، والاضطراب النفسي ، كما هو حال البشرية اليوم في أغلب بقاع المعمورة ، وما ذاك في الحقيقة ـ إلا نتيجة طبيعية لانهيار الأخلاق .

وما المشاكل والحروب التي راح ويروح ضحيّتها الملايين من البشر في شتّى أنحاء الأرض إلا نتيجة للتحلل من قيم الأخلاق ، ومبادئها ، حيث سادت شريعة الغاب ، وأصبح الحق للأقوى ، وانقلب الانسان وحشاً ضارياً ينتهك الحرمات ، ويمضي في تحقيق مآربه وأطماعه دون وازع من ضمير ولا خلق ، ولا دين .

فالحياة الآمنة المستقرة لا تكون إلاّ في ظل التمسك بمباديء الأخلاق التي تحافظ على دوام الحياة الاجتماعية ، وتقدمها ، ورقيها بتحقيق مطالب الفرد ضمن الحدود التي تحقق له سعادته النفسية التي ينشدها .

والأخلاق هي التي تنظّم سلوك الأفراد في المجتمعات ، وتحدّد ما يجب أن تكون عليه علاقاتهم بعضهم ببعض ، وتوجّهها إلى الوجهة السليمة .

وتنقسم فلسفة الأخلاق إلى جانب نظري ، وآخر عملي : باعتبار أنّ الجانب النظري : هو البحث الفكري ، ووضع الأسس التربوية للقيم الأخلاقية ، والبحث في مسائل الخير والشر ، وماهيّة الضمير ، والمسئوليّة الأخلاقية ، وغيرها .. أمّا الجانب العملي : فهو السلوك الانساني التطبيقي مع مراعاة دوافعه ، وأهدافه على تنوّعها .

ولقد اهتم الاسلام بالأخلاق نظرياً وعملياً اهتماماً كبيراً ، وعرف لها قدرها وأنزلها المكانة اللائقة بها ، فمع الجانب النظري :

حدّد الاسلام مكارم الأخلاق ، وبيّن قيمتها ، وقدرها ، ودعا إلى الالتزام بها في كل صغيرة وكبيرة من شئون الانسان ، وبيّن العاقبة الحسنى لمكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة .

والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تحثُّ الانسان ، وتدعوه إلى الالتزام بالأخلاق الفاضلة في كل صغيرة وكبيرة من أفعاله ، فتدعوه إلى العدل ، والصدق ، والأمانة ، وصلة الرحم ، والوفاء بالعهد ، والكرم وغير ذلك ..

كما أنَّ هناك آيات كثيرة تنهى الانسان عن اقتراف الرذائل الخلقية كالكذب ، والظلم ، والبغي ، والغدر ، والخيانة ، وقطع الرحم ... الخ .

ولقد جاءت الأحاديث الشريفة أيضا تدعو إلى حسن الأخلاق ، وتنهى عن رذائلها .

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : « ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وأن الله ليبغض الفاحش البذيء » (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال : « تقوى الله وحسن الخلق » (٢)

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال :« سمعت النبي ﷺ يقول : « ما من شيئ يوُضَعُ في الميزان أثقل من حسن الخلق ، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم ، والصلاة » (٣)

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم اليَّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون ، والمتفيقهون ، قالوا : يارسول الله قد علمنا الثرثارون ، والمتشدقون ، فما المتفيقهون ؟ قال : المتكبرون » . (٤)

---

(١) سنن الترمذي : كتاب البر والصلة : باب ماجاء في حسن الخلق ـ الجزء الرابع صـ ٣٦٢ الحديث : ٢٠٠٢ .

(٢) نفسه صـ ٣٦٣ الحديث رقم ٢٠٠٤ .

(٣) نفسه حديث رقم ٢٠٠٣ .

(٤) نفسه ـ باب ما جاء في معالي الأخلاق رقم الحديث ٢٠١٨ جـ ٤ صـ ٣٧٠ .

فـهذه الأحـاديث تبّين لنا مكانة الأخـلاق في الاسـلام ، وأنها من صـميم رسـالة الاسـلام ، إلى درجة أن العبادات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بها ، فهي تعمل على تزكية النفس الانسانية ، وتطهيرها من الأدران ، والأخذ بيدها إلى مدارج الرقي ، والكمال .

فالصلاة ـ مثلاً ـ الحكمة منـها نهي النفس عن المنكرات وذلك كما في قوله تعالي :

﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾. (١)

كما بيَّن الله تعالى الغاية من إخراج الزكاة في قوله تعالى :

﴿ خذ من أموالهم صدقةً تطهرهم وتزكيهم بها ﴾. (٢)

فالغاية من الزكاة تطهير ، وتنظيف النفوس ، والتسامي بها إلي أرقى المستويات ، وهكذا الأمر بالنسبة لجميع العبادات في الاسلام ، فالتحلي بالفضائل ، والتخلي عن الرذائل هو غرض الاسلام الرئيسي ، ومن ذلك يتبيَّن لنا معنى تحديد الرسول ﷺ رسالته بالدعوة إلى مكارم الأخلاق .

وبالنسبة للجانب العملي للأخلاق في الإسلام نرى أن الاسلام حدَّد هذه القدوة الأخلاقية في رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وقد كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى ، والقدوة لجميع المسلمين في جميع الأقوال والأفعال .

﴿ لقد كان لكم في رسول اللهأسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾. (٣)

وكذلك جميع الأنبياء والمرسلين حملوا مشاعل الهدى ، فأناروا للانسانية طريقها ، وكانوا ـ بحق ـ مثلاً أعلى لجميع الناس على مر العصور والدهور ،

---

(١)العنكبوت : ٤٥ .

(٢)التوبة : ١٠٣ .

(٣)الأحزاب: ٢١ .

وهكذا أيضا كان صحابة رسول الله ﷺ فقد ضربوا أروع الأمثلة لتحقيق مباديء الأخلاق ، والقيم العليا بسلوكهم في واقع حياتهم فكانوا بحق ﴿خير أمة أخرجت للنّاس ﴾ .

وهذا هو المراد من الأخلاق في الاسلام حيث يراد بها تحقيق هذه المباديء والقيم في حياة الناس ، فليست الأخلاق في الاسلام ترفاً عقلياً ، ومذاهب ونظريات تدور حولها مناقشات عقيمة ، بل المراد من هذه الأخلاق أن يتمثّلها الناس في معاملاتهم مع بعضهم البعض ، في كل ما يعرض لهم من شئون وأحداث متوخين في ذلك رضا الله سبحانه وتعالى .

وأول ما تتميّز به الأخلاق في الاسلام عن غيرها من المذاهب والنظريات الوضعية هو قيامها على أساس وطيد من الايمان بالله تعالى ، والايمان باليوم الآخر .

فالايمان بالله تعالى خالق الانسان ، العليم الخبير بما يصلح حياته ، وما يحقّق له السعادة في الدنيا والآخرة ، والايمان بأنّ هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا ، سيحاسب الناس فيها على ماقدّمت أيديهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، يمثّل الأساس الذي يقوم عليه صرح الأخلاق الاسلامية ، ولذلك ترتبط الأخلاق في الاسلام بالإيمان ارتباطاً وثيقا ، فالتحلي بها يعتبر دليلاً على صحة الايمان ، والتخلي عنها يعتبر دليلا على ضعف الايمان ، وليس أدل على ذلك ، وعلى بيان خطر الأخلاق ، وعظيم شأنها في الاسلام من أنّ الله عز وجل حين يأمر المؤمنين بإتيان الفضائل ، والابتعاد عن الرذائل يجعل ذلك من مقتضى الايمان به سبحانه وتعالى ، فالآيات الكريمة تبدأ بقوله تعالي :﴿ يا أيها الذين آمنوا . ﴾ ثم يأتي بعد ذلك التكليف الأخلاقي الذي يأمرهم به الله تعالى وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللهوكونوا مع الصادقين . ﴾ (١)

---

(١) التوبة : آية ١١٩ .

فالعبادات في الاسلام إن أدّاها المسلم ، ولم تظهر آثارها على سلوكه في الحياة فإنّ لافائدة منها لأنها لم تؤدِّ الغاية منها .

وقد وضّح هذا المعنى رسول الله ﷺ حين سأل أصحابه : « أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ ، وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ، ثم طرح في النار . » (١) فكل سلوك يأتيه المرء في حياته لا بدَّ أن يراعي فيه جانب التمسك بالمباديء ، والقيم الأخلاقية التي دعا إليها الاسلام ، وأوجب على المسلمين الالتزام بها وإلا فقد قيمته ، وكما رأينا حتى العبادات بيَّن الاسلام أنّه لا فائدة منها مالم يكن المسلم مراعياً مباديء الأخلاق ، وقيمها في سلوكه ، وأعماله .

فيجب على المسلم أن يسير في حياته مهتدياً في كل عمل يقدم عليه بالهدي السماوي الذي بيّن ، وحدَّد مكارم الأخلاق الثابتة على مَرّ العصور ، والدهور ، والتي جاءت بها الرسالات السماوية منذ آدم عليه الصَّلاة والسَّلام وإلى أن ختمت برسالة سيدنا محمد ﷺ الخالدة إلى يوم الدين .

يقول الله تعالى مقررا هذه الحقيقة :﴿ شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحاً ، والذي أوحينا إليك ، وما وصَّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . ﴾ (٢)

---

(١) صحيح مسلم : كتاب البرد والصلة : باب تحريم الظلم صـ ١٩٩٧ رقم الحديث [٢٥٨١]

(٢) الشورى آية ١٣ .

فالمباديء الأخلاقية التي جاءت بها الرسالات السماوية كلها ـ إلى جانب العقيدة ـ ثابتة لا تتغيَّر ، فليس الخير في زمن شراً في زمن آخر ، بل هناك مباديء وقيم عليا ثابتة لا تتغيَّر مهما تغيَّرت الظروف ، والأحوال ، ومهما تقدَّمت الانسانية ، وتطوَّرت ، وبلغت أقصى التطور ، والتقدم المادي . فالانسان مخلوق لله سبحانه وتعالى العليم الخبير بما يصلح حياة هذا الانسان ، وما يكفل له خيري الدنيا والآخرة ، ويؤدي إلى سعادته النفسية ، وطمأنينته .

﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ . (١)

ولذلك فقد حدّد الله تعالى ، وبيَّن للانسان المباديء ، والقيم الثابتة التي تؤدي الى سعادته ، ورسم له منهاج الحق والخير إلى يوم الدين ، فمن سار على هدى هذا النور السماوي لم يضل ، ولم يتخبط فيما تخبط فيه الذين أعرضوا عنه حيث وقعوا في الحيرة ، والاضطراب ، والشقاء النفسي كما هو حال أغلب البشر اليوم في شتى أنحاء المعمورة .

ومن أسباب هذا الاضطراب ، والشقاء النفسي الذي تعيشه البشرية اليوم اغترارها بما وصلت إليه من تقدم مادي في شتى مجالات الحياة ، وذلك باعتمادها على العلم التجريبي الذي تقدم ، وحقَّق للانسانية من أسباب الرفاهية المادية ما لم يكن متوقعًا .

ولقد كان من نتائج هذا المسلك الشائن ظهور مدارس عديدة لا تؤمن إلا بما يؤمن به العلم التجريبي وحده ، وتنكر ما عداه .

ومن هذه المدارس التي أفرزها القرن التاسع عشر في أوربا المدرسة الوضعية الفرنسيّة التي أسَّسها « أوجست كونت » (١٧٩٨ – ١٨٥٧) وانتسبت إليه .

---

(١) الملك آية : ١٤

هذه المدرسة قامت على أنقاض ثورة دمَّرت ما كان باقياً في مجتمع فرنسا من قيم ، ومباديء دينية ، مما حدا بمؤسس هذه المدرسة إلى التستر خلف ستار العلم فيما ذهب إليه .

ولّمَا كان هذا العلم التجريبي لا يؤمن إلا بالواقع الحسي المادِّي ، ولا يهتم بما وراء ذلك ، فإنَّ المدرسة الوضعيّة تعتنق هذه المباديء والآراء فهي لا تؤمن إلا بما يؤمن به العلم التجريبي ، أما ما وراء ذلك من مسائل عالم الروح ، وما وراء الطبيعة ـ كما يسمونه ـ فإنَّ المدرسة الوضعيَّة ترى أنه يجب أن يهمل لأنّه لم يؤدّ بالانسانية إلا إلى جدل عقيم ، ومناقشات لا طائل من ورائها ـ كما تقول ـ .

فتنادي المدرسة الوضعية بأن يكون التفكير الانساني في جميع شئون الحياة بطريقة التفكير الوضعي فهي تزعم أنَّه وحده الذي يجب أن تكون له السيادة في عصر التقدم العلمي لأنَّه هو الذي أخذ بيد الانسانية إلى التقدم ، والرفاهية ، ويسَّر لها سبل الحياة .

أمَّا التفكير الديني : أى التفكير الذي يرجع في تفسيره للظواهر التي من حوله إلى إرادة عليا غير محسوسة فإنَّ « أوجست كونت » وتلامذته يسمونه تفكيراً خرافياً ، وأسطورياً ، ويرون أنَّه يجب أن يختفي ، ويفسح المجال للتفكير العلمي وحده . وعلى هذا الأساس بنت المدرسة الوضعية نظريتها في المعرفة ، ونظرت إلى الدين والأخلاق نظرة تتلاءم مع ماذهبت إليه في نظريتها في المعرفة الانسانية .

فالمدرسة الوضعيّة لا تؤمن بشيء وراء الواقع الحسِّي ، ولا بشيء لا يمكن إخضاعه للمنهج العلمي الاستقرائي القائم على التجربة الحسية ، فهذا المنهج ـ كما تزعم ـ هو وحده الذي يوصل لليقين ، وما عداه من مناهج فإنه ـ في رأيها ـ لا يوصل إلاَّ الى الجدل ، والمناقشات العقيمة ولذلك يجب أن يفسح المجال للمنهج التجريبي وحده .

ولّما كان الدين يقوم على الايمان بحقائق غيبيّة ، ومطلقة ، وقيم عليا لا يمكن إخضاعها للادراك الحسي ،فإنّ المدرسة الوضعية ـ تمشّياً مع مذهبها في المعرفة ـ لا تؤمن بهذه الحقائق المطلقة ، وتصفها بالخرافة ، والأسطورة . وبناء على ذلك تنادي المدرسة الوضعية بضرورة تطبيق المنهج التجريبي العلمي على دراسة الظواهر الانسانية كلها كالدين ، والأخلاق فهي تعتبرها مجرد ظواهر اجتماعية تخضع للدراسة العلميّة كالظواهر الطبيعيّة تماماً ، وبذلك يتحقق التقدم في هذا المجال كما حصل للعلوم الطبيعية ، فتصبح الحقائق في نظر المدرسة الوضعية نسبية ، ومتغيرة لأنّها تعبّر عن حالة كائنه ، وتصبح كذلك القيم الأخلاقية نسبيّة ، ومتغيّرة ـ في نظر هذه المدرسة ـ .

والنتيجة التي تصل إليها هي أنّ الأخلاق ـ كما تزعم ـ مجرد ظواهر اجتماعيّة تنبت في المجتمعات بفعل تعامل الأفراد ، وعلاقاتهم بعضهم مع بعض ، فتنقطع بذلك كل صلة للأخلاق بالدين ، ولا تكون الأخلاق ـ عندئذ ـ مباديء ، وقواعد رسمها الوحي السماوي وحدّدها ليسير الانسان على هديها في حياته كما هو الحال في جميع الأديان السماويّة ، بل تكون الأخلاق في نظر هذه المدرسة ـ قواعد تواضع عليها الناس في مجتمع من المجتمعات ، وساروا عليها في حياتهم ، وتوارثوها بعد ذلك ، فهي إذاً تخضع لمتطلبات ، وظروف المجتمعات المختلفة ، وتتغير من عصر لآخر ، ومن جيل إلى جيل ، فما يكون صالحا في عصر لا يكون كذلك في عصر آخر ، وترتبط الأخلاق بمصالح الناس في المجتمعات المختلفة ، فهي ثمرة لتطور هذه المجتمعات ، ولا تعدو أن تكون فرعا من علم الاجتماع ـ كما يزعمون ـ فيمكن دراسة الأخلاق عن طريق وصف الظواهر التي تتجلى فيها أى دراسة العلاقات الاجتماعية القائمة في المجتمعات دراسة مجردة مرتبطة بزمانها ومكانها ، ومقيّدة بالظروف والأحوال التي وجدت فيها ، ومن هذه الدراسة يمكن التوصّل إلى القوانين التي تخضع لها الظواهر الأخلاقية ـ كما يقولون ـ وينشأ بعد ذلك فن أخلاقي يقدم التوصيات الأخلاقية التي يجب على أفراد المجتمع التمسك بها ، والتحلي بها ـ كما تنادي هذه المدرسة .

ولا شك أنّ النظر إلى الأخلاق ، والقيم العليا الثابتة على هذا النحو يعتبر نظراً شاذاً مخالفاً لكل ما تعارفت عليه البشرية منذ وجدت على الأرض إلى يومنا هذا .

فهذه النظرة إلى الأخلاق ـ في حقيقتها ـ تسوِّي بين الانسان وبين الأشياء الماديّة ، وذلك بتطبيقها منهجًا واحداً عليهما وشتان مابين الاثنين من خلاف .

وفي ظل هذه النظرة للأخلاق لن تكون هناك مباديء ، ومعايير أخلاقية يمكن الرجوع إليها لتقويم السلوك الانساني في المجتمعات ، بل ستكون المعايير الأخلاقية هي في مسايرة المجتمع ، والرأى العام السائد فيه ، لأن الأخلاق ـ كما يزعمون ـ هي بنت البيئة التي وجدت فيها ، وليس هناك شيء ثابت ، ومطلق ، بل القيم نسبية ومتغيرة حسب ماتراه المجتمعات المختلفة .

ولا تخفى علينا حقيقة هذه الدعوة الهدَّامة لكل التعاليم السماوية والقيم الأزلية التي جاءت بها رسالات الله لتصلح واقع الانسان ، وتترفع به إلى أجواء المثاليّات ، والروحانيّات ، وتحاول الصعود به إلى أرقى المراتب الانسانية ، وتدعوه لتحقيق المثل العليا الأخلاقية في سلوكياته كلها .

فالمدرسة الوضعية تدعو إلى ترك الناس يعيشون حياتهم كما يحلو لهم ، وكما يريدون بدعوى أنَّ القيم والمبادئ الأخلاقية نسبيّة ، وأنها تتغير من عصر لآخر ، وما على الباحث الأخلاقي إلاَّ أن يدرس الأخلاق كما هي في واقع الأمر ـ متجلية في سلوك الأفراد في المجتمع فهي تتستر خلف ستار الدراسة الموضوعية في اشاعة التحلل الخلقي ، والانفلات من المباديء ، والقيم الأخلاقية الثابتة .

وبهذه الطريقة تنقطع كل صلة للأخلاق بالدين ، وهذا هو ما يهدف إليه « أوجست كونت » وتلامذته من بعده ، فهو يصرِّح بأنَّ هدف الفلسفة الوضعية هو محو فكرة الحق ، والخير التي ترجع إلى أصل ديني لأنّها بذلك تجعل سلطة عليا على الانسان ، وهو لا يؤمن بهذه السلطة ، ولا بالحقائق الغيبية المطلقة . وعلى الرغم ممّا في آراء هذه المدرسة من ضلال ، وخطأ بارز ، فقد وجدت

ـ وللأسف الشديد ـ أنَّ هناك معجبين بآرائها ، مفتونين بما ذهبت إليه حتى إنا لنرى كثيراً من تأثير هذه المدرسة في المؤلفات التي كتبت باللغة العربية ، وخاصة كتب علم الاجتماع ، والأخلاق التي تنضح بهذه الآراء الهدَّامة ، والتي يتحمَّس لها الكثير من أساتذة علم الاجتماع العرب ، فيشيعون بين أبناء المسلمين آراء تخالف مخالفة صريحة تعاليم الوحي السماوي ، وتخالف ما تعارفت عليه البشرية منذ الأزل ، ويحطمون بذلك ما للدين ، والأخلاق من مكانة مقدسة في القلوب .

وكان كل هذا دافعاً لي لأبيِّن موقف المدرسة الوضعية من الأخلاق ، ثم لأوضِّح موقف الاسلام منها بطريقة علمية يتضح منها ما للإسلام من تميّز ، وصواب .

وقد استشرت أستاذي المشرف ـ حفظه الله ـ ، واستخرت الله سبحانه وتعالى ، وأخيرا سجلت بحثي لدراسة الماجستير في قسم العقيدة في موضوع :

الأخلاق عند المدرسة الوضعية « أوجست كونت ومدرسته »
دراسة نقدية في ضوء الاسلام

ولقد رأيت أنّ الموضوع بعنوانه ينقسم إلى قسمين :

الأول : في دراسة موقف المدرسة الوضعية من الأخلاق .

الثاني : في بيان موقف الاسلام منها .

ولذلك انقسم البحث إلى بابين حيث تناول كل باب قسماً من القسمين المذكورين .

ونظراً لأنَّ رأى المدرسة الوضعيّة في الأخلاق يعتبر امتداداً لرأيها في المعرفة ، والدين فقد اقتضى ذلك مني أن أوضح رأى المدرسة الوضعيّة في المعرفة ، والدين لأنَّ هذا أساس ما ذهبت إليه المدرسة في الأخلاق .

وبناءً على هذا جاء البحث مشتملاً علي مايلي :

المقدمة : في بيان أهمية الموضوع وسبب اختياره وأهم محتوياته .

التمهيد : ويتضمن التعريف بالأخلاق ، وبالمدرسة الوضعية ، وأشهر رجالها .

الباب الأول :في دراسة الأخلاق عند المدرسة الوضعيّة ويتضمن الفصول الآتية :

الفصل الأول : نظرية المعرفة عند المدرسة الوضعية .

الفصل الثاني : الدين عند المدرسة الوضعية .

الفصل الثالث : الأخلاق بين الثبات والنسبية .

الفصل الرابع : الضمير الخلقي عند المدرسة الوضعية .

الفصل الخامس : موقف المدرسة الوضعيّة من علم الأخلاق النظري .

الباب الثاني : نقد النظرية الوضعية للأخلاق على ضوء الإسلام ويشمل :

الفصل الأول : نقد موقف المدرسة الوضعية من العلم والدين على ضوء الاسلام .

الفصل الثاني : نقد موقف المدرسة الوضعية من الأخلاق على ضوء الاسلام .

الفصل الثالث : نقد المدرسة الوضعية في القول بنسبية الأخلاق على ضوء الاسلام

الفصل الرابع : الأخلاق في الإسلام .

الخاتمة : وتشتمل على نتائج البحث

وقد عشت مع الموضوع رغم المصاعب الجمّة التي قابلتني ، والتي من أهمها :-

أ ـ جدة الدراسات الفلسفية والأخلاقية بالنسبة لطالبة قضت حياتها الدراسيّة في المناهج السعودية البعيدة عن هذه الدراسات لعدم جدواها العملي .

ب ـ ندرة المراجع التي قدّمت المدرسة الوضعية بعد بذل كل ما أمكنني .

جـ ـ كثرة المناهج في الدراسات المقارنة تدفع إلى الحيرة والتردد .

ولقد حاولت التغلب على هذه الصعوبات بوسائل متعددة ، حيث وفقني الله تعالى في الحصول على ماكتب عن المدرسة الوضعية من مؤلفات باللغة العربية ، ورجعت إلى المصادر الأصلية للمدرسة بعد ترجمتها من الفرنسية ، وقد اعتمدت في بيان وجهة نظر المدرسة الوضعية على كتاب « أوجست كونت » الأساسي وهو « دروس في الفلسفة الوضعية » ، وبعد أن تُرجم لي منه عدة دروس ، تأكدت أن الترجمة تنطبق تماماً على ماجاء في كتاب تلميذ « أوجست كونت » وهو « ليفي بريل » الذي وضح فيه فلسفة أستاذه ، وسماه « فلسفة أوجست كونت » وقد ترجمه إلى العربية كل من الدكتور محمود

قاسم ، والسيد محمد بدوي ولذلك فقد اعتمدت على هذا الكتاب في تصوير آراء « أوجست كونت » بالإضافة إلى كتب المؤلفين العرب الذين كتبوا عن « أوجست كونت » وآرائه أمثال الدكتور مصطفى الخشاب ، والسيد محمد بدوي، وغيرهم من أساتذة علم الاجتماع في الجامعات العربية .

أما بالنسبة « لدوركايم » فقد وفقني الله تعالى في الحصول على أهم كتبه في الأخلاق وهو كتاب « التربية الأخلاقية » مترجماً إلى العربية ، وقد ترجمه الدكتور السيِّد محمد بدوي وكذلك كتاب « قواعد المنهج في علم الاجتماع وترجمه : كل من الدكتور مجمود قاسم ، والسيّد محمد بدوي

وبالنسبة إلى « ليفي بريل » فقد حصلت علي كتابه الرئيسي في الأخلاق وهو [الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية] مترجما إلى اللغة العربية وقد ترجمه الدكتور محمود قاسم .

وبالإضافة إلى ذلك فقد اعتمدت أيضا على المؤلفات العربية في هذا الموضوع وقد أعانني الله القادر على كل شيء ، وأمكنني بفضل الله تعالى أن أدرس الموضوع في اطار منهج علمي يعتمد على الأسس الآتية :ـ

١ ـ الالتزام بالتقسيم العلمي للبحث .

٢ ـ أن أقدِّم في دراسة كل مسألة بتعريفها ، وتوضيح رأى المذاهب والفلاسفة فيها ، ثم أبين رأي ـ المدرسة الوضعِّية في المسألة ـ رابطة بين ما ذهبت إليه المدرسة ، وبين ماله تأثير فيها ، أو شبه معها .

٣ ـ اتباع التسلسل العقلي للبحث حيث قدمت رأي « المدرسة في المعرفة ، ثم في الدين ، ثم رأيها في الأخلاق من ناحية مصدرها ، ومدى ثباتها ، وكيفية تناولها لدراسة الأخلاق النظرية .

٤ ـ في بيان موقف الاسلام حاولت استقصاء الآيات والأحاديث في الموضوع الواحد على أن يكون تتبعي لموقف الاسلام مرتباً وفق ترتيب موضوعات الباب الأول .

٥ ـ أرجع لآراء الفلاسفة والمفكِّرين المسلمين في هذه القضايا ، وبخاصة ما يتفق منها مع الرأى الاسلامي الصحيح غاضة الطرف عما استغرب رأيه ، أو تأثر بالتفكير الوضعي لأنّ هؤلاء يعـدون امتداداً للمدرسة الوضعية ـ التي أرد عليها ، وأبينٍّ فساد ماذهبت إليه .

وأرجو الله العلي القدير أن أكون قد وُفِّقت فيما قمـت به من عمل ، وأن يتقبَّل مني هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به المسلمين .

وأتقدم بالشكر الجزيل لكل من علّمني ، ووجَّهني ، وساهم في إخراج هذه الرسالة ، وإتمامها .

كما أتوجه بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف الدكتور « بركات دويدار » لتفضله بقبول الاشراف على هذه الرسالة فجزاه الله عنّي أفضل الجزاء وأكمله .

وأختم مقدمتي بالإعتماد على الله رب العالمين . فهو حسبي ونعم الوكيل .

التمهيد

ويشمل :

أولاً : التعريف بالأخلاق .

ثانيًا : التعريف بالمدرسة الوضعية .

ثالثًا : التعريف بأشهر رجال المدرسة الوضعية .

١ - أوجست كونت .

٢ - دور كايم .

٣ - ليفي بريل .

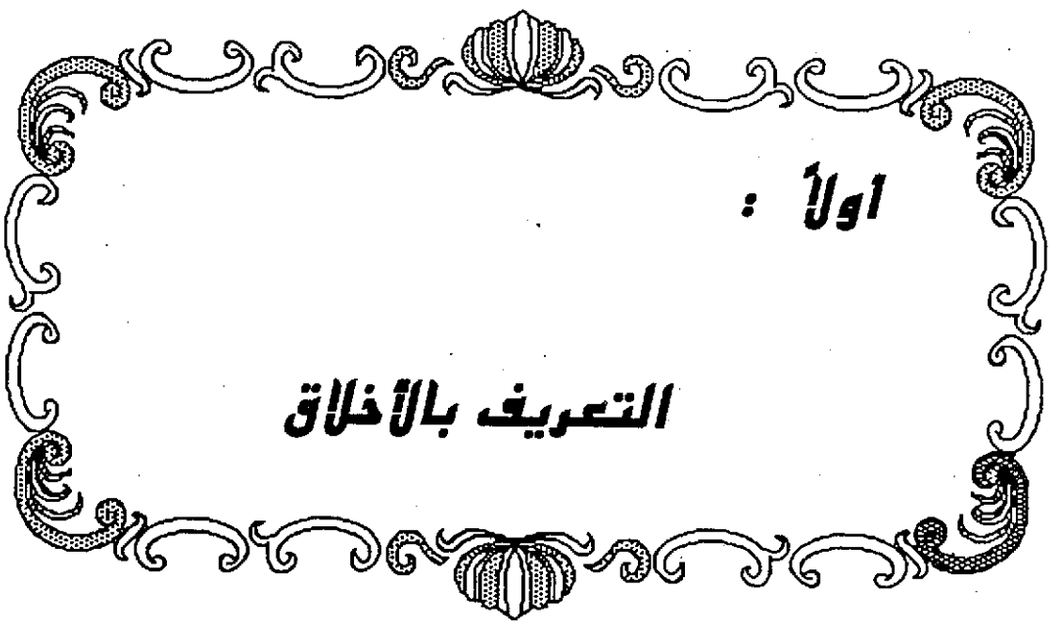

أولاً :

التعريف بالأخلاق

مفهوم الأخلاق :

جاء في لسان العرب : « الخُلُق : بضم اللام وسكونها : هو الدين ، والطبع والسجية ، وحقيقته : أنه لصورة الإنسان الباطنة وهى نفسه ، وأوصافها ، ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْقْ لصورته الظاهرة ، وأوصافها ، ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة ، والثواب والعقاب يتعلقّان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة . » (١) .

وبذلك يتبين لنا أنّ الخُلق إنما هو تعبير عن نفس الإنسان ، وما يصدر عنها من أفعال تكون محلاً للثواب أو العقاب .

وجاء في المعجم الفلسفي : « الأخلاق جمع خلق ، وهو العادة ، والسجيّة والطبع ، والمروءة ، والدين » (٢) .

قال الغزالي رحمه الله :

[الخَلْق ، والخُلُق : عبارتان مستعملتان معاً . يقال : فلان حسن الخَلْق والخُلُق : أى حسن الباطن والظاهر : فيراد بالخَلْق الصورة الظاهرة ، ويراد بالخُلُق : الصورة الباطنة .

فالخلق : عبارة عن هيئةٍ في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ، ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة .

فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سُميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سُميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً .] (٣) .

---

(١) لسان العرب لابن منظور جـ ١٠ صـ ٨٦ ط

(٢) المعجم الفلسفي : جميل صليبا جـ ١ صـ ٤٩ .

(٣) إحياء علوم الدين جـ ٣ صـ ٥٣ .

والخلق عند القدماء : ملكة تصدر بها الأفعال عـن النفس من غير تقدم روية ، وفكر ، وتكلف . »

فغير الراسخ من صفات النفس لايكون خلقاً ، كغضب الحكيم ، وكذلك الراسخ الذي تصدر عنه الأفعال بعسر ، وتأمّل ، كالبخيل : إذا حاول الكرم . (١) .

ومن هذه التعاريف « للخلق » نصل إلى أنّ الخلق : عبارة عن صفة للنفس راسخة فيها ، ولكن هناك صفات كثيرة للنفس تصدر عنها الأفعال دون تكلّف كالإدراك ، والتفكير ، والتذكر ، إلى جانب الوجدانات والإنفعالات فكيف نميز بينها وبين الخلق ؟ .

لقد وضّح الدكتور « محمد عبد الله دراز » ذلك فقال : « إنّ الخلق ليس صفة للنفس في جملتها بل في جانب معين من جوانبها وهو جانب القصد والإرادة بحيث يعود على النفس من إختيار فعل معين وإرادته وصف بالخير ، أو بالشر .

وتوصّل رحمه الله إلى أن تعريف الخلق هو « قوة راسخة في الإرادة تنزع بها إلى إختيار ماهو خير وصلاح (إن كان الخلق حميدا) ، أو إلى اختيار ماهو شر وجور (إن كان الخلق ذميما) » . (٢) .

وهناك فرق بين الخلق ، والفعل كما يقول الإمام الغزالي رحمه الله :

[وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ، ولا يبذل إمّا لفقد المال أو لمانع ، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء .. فالخلق « إذن عبارة عن هيئة النفس ، وصورتها الباطنة »] (٣).

---

(١) المعجم الفلسفي جـ ١ صـ ٤٩ .

(٢) كلمات في مبادئ علم الأخلاق صـ ٤ .

(٣) إحياء علوم الدين جـ ٣ صـ ٥٣ .

فالخلق يختلف عن الفعل في أنّ الخلق إنمّا هو صورة للنفس ، وصفة لها بينما الفعل هو الذي يترجم عن هذا الخلق في صورة الأعمال التي يمارسها الإنسان .

تعريف علم الاخلاق :

هو « علم بالفضائل ، وكيفية اقتنائها ليتحلى بها الانسان ، وعلم بالرذائل وكيفية توخّيها ليتخلى عنها الانسان ، والالمام التام بجميع القواعد التي باتباعها يعمل الانسان الخير ، ويتجنب الشر »[1] .

ومن هذا يتضح لنا أنّ علم الأخلاق : علم يرسم للانسان ماينبغي أن يكون عليه سلوكه ليكون خيراً ، وينير له السبيل ، ويبيّن له الغاية التي ينبغي له أن يقصدها بسلوكه .

وبينما يكون هذا العلم عند الوضعييّن مصدره نظريات وأفكار بشريّة ، فإن هذا العلم في الاسلام لابدّ وأن يكون مستمداً من كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ فيدعو إلى مادعا إليه الاسلام من فضائل الأعمال ، وينهى عمّا نهى عنه الاسلام من الرذائل الخلقيّة ، وتكون غايته رضا الله سبحانه وتعالى .

---

(١) مباحث ونظريات في علم الأخلاق صـ ٣٤ . تأليف : أبو بكر زكري ، وعبد العزيز أحمد . ط ٤ عام ١٣٨٥ هـ ، دار الفكر العربي .

وعلم الأخلاق نظري وعملي :

والمقصود بالناحية النظرية من أي علم : الحقائق المجردة دون الإهتمام بتطبيقها والعمل بها .

والمقصود بالناحية العملية من أيِّ علم : الناحية التي تبيِّن لنا كيفية تطبيق هذه النظريات في الواقع .

« فالجانب النظري من علم الأخلاق يختص بالبحث في ماهية « الخير » ، و « الشر » ، ووضع قواعد السلوك ، ومقاييس الأعمال ، وبالبحث في الضمير الإنساني حقيقته ، ومظاهره كما أنه يعني بتحديد غاية الإنسان من هذه الحياة ، وكماله الذي ينشده ، والذي تتحقق به سعادته .

أما الجانب العملي منه فيختص بالرقابة لممارسة الجانب النظري ، ومدى تطبيقه في الحياة الواقعية للفرد والجماعة بحيث يكون من شأنه الحكم بمطابقة الفعل أو عدم مطابقته لقانون الأخلاق ، وبموافقته أو عدم موافقته لمعاني (الحق) و (الواجب) ، ولمقاييس الأخلاق سواء تعلق ذلك بالفرد أو بالجماعة » (١) .

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز عن القسم العملي

أنه < أمس الضربين بالحياة ، وأحقهما بأن يكون نبراسًا في كل يد ، فهو الغذاء اليومي ، بل هو الواجب العيني ، ولذلك لاتكاد تخلو أمة في القديم ، والحديث من معرفته ، والحث على آدابه التي تصل اليها بالفطرة ، أو بالفكر ، أو بالتجربة ، أو بالوراثة ، والرواية . » ،

ويقول عن علم الأخلاق النظري إنه « بمنزلة أصول الفقه من الفقه ، فهو شأن الخواص ، والمجتهدين ، ولايطلبمن غيرهم إلا كما تطلب النافلة بعد تمام الفريضة ، ولذلك لانجد له من الأقدمية ، ولا من الشمول مالعلم الأخلاق العملي . > (٢) .

---

(١) محمد بيصار : العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع صـ ٢٢٥ . دار الكتاب اللبناني – بيروت . الطبعة الرابعة عام ١٩٧٣ م .

(٢) كلمات في مبادي وعلم الأخلاق ، صـ ١٧ .

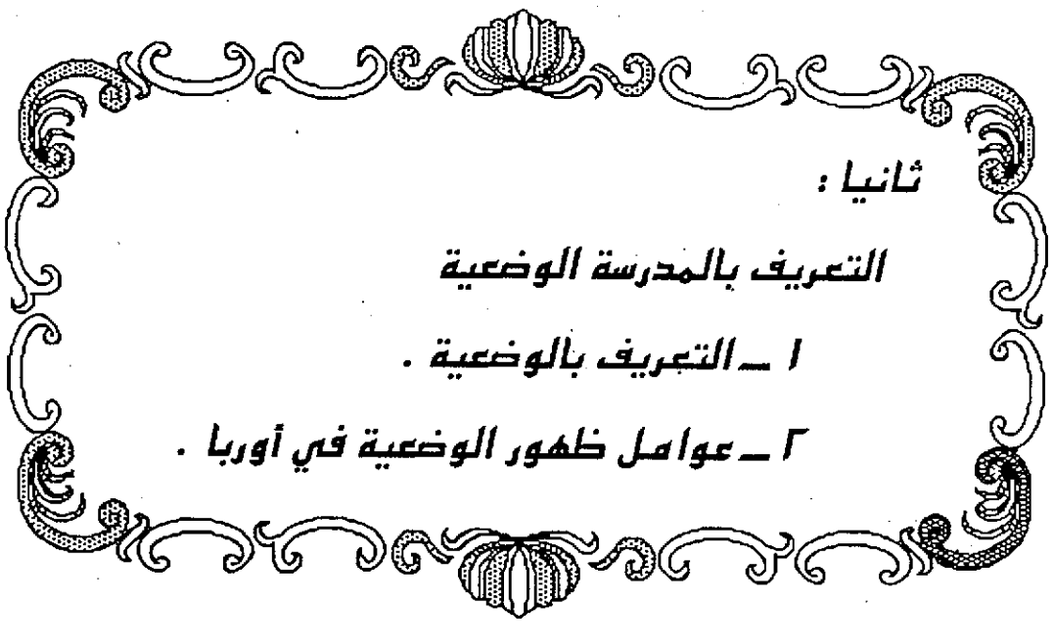

ثانيا :

التعريف بالمدرسة الوضعية

١ ـ التعريف بالوضعية .

٢ ـ عوامل ظهور الوضعية في أوربا .

١ ـ التعريف بالوضعية : (Positivisme)

جاء في المعجم الفلسفي :

« الوضعي من الأشياء ماكان متحققاً في عالم الحسّ والتجربة ، وإن كانت أسبابه القصوى ، وقوانينه التي شرعها الله ، وفرضها على الطبيعة مجهولة لدينا ، وقريب من هذا المعنى إطلاق هذا اللفظ في فلسفة (أوغوست كونت) على الواقعي ، أو الفعلي المستقل عن معنى الشرع الإلهي .

فالوضعي بهذا المعنى مرادف للحقيقي ، والتجريبي مقابل للتأملي ، والخيالي والوهمي ، والحالة الوضعية في قانون الحالات الثلاث مقابلة للحالة الميتافيزيقية والحالة الدينية .

قال (أوغوست كونت) :

« إنّ لفظ الوضعي يدل على الحقيقي المقابل للوهمي ، وهو موافق من هذه الناحية للروح الفلسفية الجديدة ، وهي الروح التي تتميز بارتباطها الدائم بالبحوث التي يستطيع عقلنا أن يضطلع بها . » (١) .

والمذهب الوضعي هو :

« الرأى القائل بأن المعرفة اليقينية هي معرفة الظواهر التي تقوم على الوقائع التجريبية ، ولا سيّما تلك التي يتيحها العلم ، وينطوي المذهب عادةً على إنكار وجود معرفة نهائية أى معرفة تتجاوز التجربة ، ولا سيما فيما يتعلق بالعلل النهائية . » (٢) .

---

(١) المعجم الفلسفي جـ ٢ ص ٥٧٧ : جميل صليبا .

(٢) أحمد زكي بدوي : معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية صـ ٣٢١ مكتبة لبنان .

و « المذهب الوضعي : هو الإسم الذي أطلق على :

أ ـ المذهب الذي أسسه في القرن التاسع عشر الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت والحركة التي قام بها .

ب ـ على الإتجاه الفلسفي العام الذي لا تعدُّ وضعية كونت إلا مثالاً واحداً منه .

والوضعية بالمعنى الأوسع : هي الرأى القائل بأنه ما دامت المعرفة الحقيقية كلها مؤسسة على الخبرة الحسية ، ولا يمكن أن تتقدم الا بوساطة الملاحظة والتجربة فإن المحاولات التأملية أو الميتافيزيقية لاكتساب المعرفة عن طريق العقل غير المحدود بالخبرة لابد أن تتخلى عنها لصالح مناهج العلوم الخاصة . » (١) .

يقول أزفولد كولبه (٢) شارحا معنى الوضعية :

« أمّا إسم الفلسفة الوضعية فمن وضع أوغسط كونت (الذي أطلقه على فلسفته الخاصة) وهو يرى أنّ الغاية من العلم يجب أن تكون كسب المعرفة التي نستطيع التغلب بها على الأشياء ، وعلى مجرى الحوادث في العالم ، والعلم بالمعنى الصحيح هو معرفة القوانين الحقيقية للظواهد الطبيعية ولا طريقة له إلا التجربة .

ولا يمكن للعقل أن يصل إلى هذه الفكرة الوضعية في العلم إلا بعد أن يجتاز مرحلتين أخريتين من مراحل التفكير هما مرحلتا التفكير الثالوجي والتفكير الميتافيزيقي ، فإن الثالوجيا (*) ، والميتافيزيقيا ليس لهما أساس من العلم .» (٣)

---

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة ترجمة : فؤاد كامل وآخرون بمراجعة : زكي نجيب محمود صـ ٤٣٠ .

(٢) هو فيلسوف ألماني ولد عام ١٨٦٢ م ـ وتوفى عام ١٩١٥ ـ له مجهودات في قيام علم النفس ، كما قام بتدريس الفلسفة في جامعة « فرتسبورج » وله عدة مؤلفات في علم النفس والفلسفة .

(٣) المدخل إلى الفلسفة : صـ ٢٨٨ ترجمة : أبو العلا عفيفي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٢م .

(*) الثالوجيا : هي « العلم الالهي أو اللاهوت أو علم العقائد يرتبها ويصوغها في قالب علمي لتكون مركبا محكما في ضوء العقل والوحي » ـ أنظر معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية ـ أحمد زكي بدوي صـ ٤٢٤ .

ويقول أيضا :

« كلمة المذهب الوضعي كانت في الأصل إسما لفلسفة (أوغسط كونت) التي شرحها في كتابه « دروس في الفلسفة الوضعية » ، ومعناها أن الفلسفة ليست إلا تنظيم أو ترتيب النتائج التي يتوصل إليها في العلوم الجزئية ..

وأهم ما يمتاز به المذهب الوضعي رفضه الميتافيزيقيا (ما بعد الطبيعة) بحذافيرها واعتباره الفلسفة علما كليا ، والتجربة وحدها أصل ، وأساس كل معرفة وموضوع كل علم . » (١) .

ويقول ج بنروبي :

إنّ كونت « يفهم « الوضعي » على أنّه مقابل لـ « الميتافيزيقي » ، والمطلق والعالي . إن وضعي مرادف لما هو واقعي ، نافع ، نسبي ، معطى مباشر من التجربة » (٢) .

ومما سبق يتبين لنا أن « الوضعية » هي :

١ ـ مصطلح أطلقه « أوجست كونت » على فلسفته الخاصة ، ثم اتسع نطاق هذا المصطلح ليشمل كل من يؤمن بما ذهبت إليه هذه الفلسفة .

٢ ـ تذهب الوضعيّة « إلى أنّ » الفكر البشري لايمكنه إدراك شيء وراء الواقع الحسي ، فالظواهر الواقعية المحسوسة هي الميدان الوحيد للفكر البشري ، وذلك بدراستها دراسة علمية بتطبيق المنهج العلمي الإستقرائي عليها للتوصل إلى معرفة القوانين التي تسيطر عليها .

٣ ـ تذهب الوضعيّة الى أن الحقائق نسبيّة ، وأنّ العقل قد تدرج في حصوله على المعرفة من خلال مروره بحالات ثلاث هي الحالة الدينية ثم الحالة الميتافيزيقية ثم الحالة الوضعية .

---

(١) المدخل الى الفلسفة ، صـ ٣١ .

(٢) مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا جـ ١ صـ ١١ ترجمة عبد الرحمن بدوي ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر طـ ٢ .

٤ ـ تنكر الوضعيّة كل بحث يتجاور مجال الواقع الحسي مما لا يمكن إدراكه حسياً وترى أن هذه الأبحاث كلها عقيمة ، ولم تؤد بالإنسانية إلا إلى جدل ، ومناقشات لا طائل وراءها ، ولذلك يجب التخلي ـ في نظر الوضعية ـ عن مثل هذه الأبحاث التي لا توصل إلى يقين في أي موضوع .

٥ ـ تعتمد الوضعية على « التجربة » والحس مصدرا للمعرفة الإنسانية ، وترى أنَّ غيرها من المصادر وهمية ، خرافية فالعلوم التجريبية وحدها هي المثل الأعلى لليقين عند الوضعية .

٢ ـ عوامل ظهور « الوضعية » في أوربا

مرت أوربا خلال تاريخها الطويل بظروف ، وملابسات كثيرة خاصة بها أثَّرت فيها تأثيراً كبيراً ، وكانت سبباً فيما انتهت إليه من إلحاد ، ومادية . ولقد كان لظهور مصطلح « الوضعية » ارتباط وثيق بهذه الظروف والأحوال .

فهناك عوامل دفعت بأوربا إلى تيار الإلحاد ، ومهدت بذلك لظهور المذهب الوضعي ، وأهم هذه العوامل هي :

أ ـ رد الفعل على طغيان الكنيسة واستبدادها : (١) .

إن الدين النصراني الذي أنزله الله تعالى على عيسى عليه الصلاة والسلام لم يبق سليماً كما أنزله الله تعالى ، ولكن لحقه التحريف ، والتغيير ، والتبديل على أيدي رجال الدين المسيحي الذين حرفوا عقيدته الواضحة إلى عقيدة لا يستسيغها العقل السليم ، ولا يقبلها الفكر المستقيم .

---

(١) يراجع كتاب : مذاهب فكرية معاصرة : للأستاذ محمد قطب من صـ ٩ : صـ ٧٦ للتوسع في معرفة طغيان الكنيسة واستبدادها في حق شعوبها .

وكتاب العلمانية : للدكتور سفر الحوالي من ص١٢٣ ـ : صـ ٢٠٠ ، مؤسسة قرطبة للطباعة ط ١ عام ١٤٠٢ هـ .

فانتهت المسيحية الى عقيدة التثليث المعروفة ، والتي تتناقض مع أبسط قواعد المنطق فكيف يكون الثلاثة واحداً ، والواحد ثلاثة ؟ إنّ هذا مما لا يمكن للعقل أن يقبله ، ويرضى به ، ولكن مع ذلك فرضت الكنيسة ، ورجالها على أتباعها الإيمان بهذه الأمور دون مناقشة ، واعتبرت مجرد التفكير فيها كفراً يستحق صاحبه العقاب .

وإضافةً إلى ذلك فقد دخل النصرانية الكثير من الأساطير ، والخرافات الوثنية التي كانت سائدة في بلاد اليونان آنذاك ، وقد جاء الدين المسيحي الصحيح للقضاء عليها ، ولكنها ـ وللأسف ـ دخلت إلى العقيدة الصحيحة ، وحرفتها ، وأصبحت جزءا منها ، كما حوى الكتاب المقدس عند المسيحيين الكثير من الأمور ، والمسائل التي لاتمت إلى الدين بصلة ، ولكنها تتناول أمورا دنيوية عن الكون ، والطبيعة ، وما إلى ذلك ، ومع ذلك فقد ألزم رجال الدين أتباعهم بضرورة الإيمان بكل ما حواه الكتاب المقدس من معلومات ، وإن كانت خاطئة ، ومن يتجرأ ويزعم خطأها سيكون مصيره الموت على أيدي رجال الكنيسة .

ولما تقدم العلم تبين العلماء خطأ كثير من المعلومات التي يحويها الكتاب المقدس ، وأعلنوا ذلك ، ولكنهم تعرضوا لأشدّ ألوان التنكيل والتعذيب على أيدي رجال الكنيسة .

يقول الدكتور سفر الحوالي : « إن النظرية التي هزت الكنيسة لأول مرة هي نظرية كوبرنيق (١٥٤٣) الفلكية فقبل هذه النظرية كانت الكنيسة المصدر الوحيد للمعرفة ، وكانت فلسفتها تعتنق نظرية بطليموس التي تجعل الأرض مركز الكون ، وتقول ان الأجرام السماوية كافة تدور حولها ، فلما ظهر « كوبرنيق » بنظريته القائلة بعكس ذلك كان جديراً بأن يقع في قبضة محكمة التفتيش ، ولم ينج من ذلك لأنه كان قسيساً بل لأنّ المنية أدركته بعد طبع كتابه بقليل » (١) .

---

(١) العلمانية : د. سفر الحوالي صـ ١٥٠ .

وقد انتشرت بعد ذلك نظرية « كوبرنيق » وماأضاف إليها بعد ذلك العلماء أمثال « برونو » ، وجاليلو بالرغم من محاولات الكنيسة طمس هذه الآراء ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل ظهرت بعد ذلك نظرية الجاذبية « لاسحق نيوتن » القائلة « إنه من الممكن تفسير ظواهر الطبيعة بربط بعضها بعض دون حاجة الى تدخل قوى خارجية عنها » (١) .

وقد وقفت الكنيسة بالمرصاد لكل هذه النظريات ، وحاربتها .

يقول الدكتور سفر الحوالي : « وقد حاربت الكنيسة هذه النظرية ، وشنّعت على معتنقيها إن الأشياء لاتعمل بذاتها ولكن عناية الله هي التي تسيرها ، ولم تكن الكنيسة من سعة الأفق على جانب يسمح لها بتفهم عدم المنافاة بين نسبة الأفعال إلى الله تعالى باعتباره الفاعل الحقيقي ، وبين نسبتها الى الأسباب باعتبارها وسائط مباشرة ، بل كان حنقها على كل جديد صارفًا لها عن ذلك كما أن أصحاب النظرية اندفعوا وراء ردّ الفعل الأهوج ، فأنكروا عمل العناية الإلهيّة ، وربط الأسباب بالمسبَّبات معتقدين أن كل ماعرفت علته المباشرة فلا داعي لافتراض تدخل الله فيه – حسب تعبيرهم – » (٢) .

ونظرية نيوتن هذه كان لها أثر كبير في الحياة الأوروبية لأنها هي التي وضعت أساس الفكر المادي الغربي ، وهي التي مهدت بعد ذلك لظهور المذهب الوضعي ، والمذاهب الالحادية التي تكتفي بدراسة الظواهر الطبيعية دون الايمان بالخالق عز وجل .

ولقد قاومت الكنيسة بكل ما أمكنها أمثال هذه النظريات العلمية والتي تأكدت صحتها بمرور الزمن ، وعذّبت العلماء إلى درجة إحراق بعضهم أحياء ، ونشطت محاكم التفتيش التي اشتهرت في تاريخ أوربا المظلم التي تعتبر وصمة عار في جبين أوربا لفظاعة ما ارتكبته هذه المحاكم في حق الشعوب دون استناد إلى دليل .

---

(١) العلمانية : صـ ١٥٥ .

(٢) نفسه : صـ ١٥٦ .

وكانت ردة الفعل من الشعوب لكل ممارسات الكنيسة الخاطئة عنيفة ، وفي التيار المضاد تماما ، فقد نبذوا كل ما تدعوهم إليه الكنيسة إن كان حقاً أم باطلاً ، ففي ثورة غضبهم ، وجموحهم على تعاليم الكنيسة لم يميزوا بين الصواب والخطأ بل رفضوا الدين جملة ، وتفصيلا .

يوضّح هذا الأمر أبو الحسن الندوي بقوله :

« ثار المجددون المتنورون ، وعيل صبرهم وأصبحوا حربا لرجال الدين ، وممثلي الكنيسة ، والمحافظين على القديم ، ومقتوا كل مايتصل بهم ، ويعزى إليهم من عقيدة وثقافة ، وعلم وأخلاق ، وآداب ، وعادوا الدين المسيحي أولا ، والدين المطلق ثانيا ، واستحالت الحروب بين زعماء العلم والعقلية ، وزعماء الدين المسيحي ، وبلفظ أصح الديانة والبوابسية حرباً بين العلم والدين مطلقا ، وقرر الثائرون أن العلم والدين ضرتان لا تتصالحان ، وأن العقل والنظام الديني ضدان لا يجتمعان فمن استقبل أحدهما استدبر الآخر ، ومن آمن بالأول كفر بالثاني . » (١) .

كما يصف أبو الحسن الندوي الحالة التي وصل إليها الأوربيون بعد ثورتهم على الكنيسة ، ورجال الدين بقوله :

إن الناس « صاروا يفسرون هذا العالم الطبيعي ، ويعللون ظواهره ، وآثاره بطريق ميكانيكي بحت ، وسمّوا هذا نظراً علمياً مجرداً ، وسموا كل بحث ، وفكر يعتقد بوجود إله ، ويؤمن به طريقا تقليديا لا يقوم عندهم على أساس العلم والحكمة ، واستهزأوا به ، واتخذوه سخريا ، ثم انتهى بهم طريقهم الذي اختاروه ، وبحثهم ، ونظرهم إلى أنهم جحدوا كل شئ وراء الحركة والمادة ، وأبوا الإيمان بكل ما لا يأتي به الحس والإختبار ، ولا يدخل تحت الوزن ، والعد ، والمساحة ، فأصبح بحكم الطبيعة ، وبطريق اللزوم الإيمان بالله ، وبما وراء الطبيعة من قبيل المفروضات التي لا يؤيدها العقل ، ولا يشهد بها العلم . » (٢) .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ ١٧٦ .

(٢) المرجع السابق صـ ١٧٨ .

ومن هذا نرى أن الجو في أوروبا كان مهيئاً لظهور المذهب الوضعي الذي لا يؤمن بشئ وراء العالم الحسي ، ويرى أن التجربة العلمية وحدها هي مصدر اليقين ، والعلم ، وأن كل ما يخالف ذلك فليس له صفة العلم ، بل الوهم ، والخداع .

ب ـ الإعتماد على الحضارتين اليونانية ، والرومانية :

كان من العوامل التي دفعت بأوربا إلى المادية والإلحاد ، وبالتالي إلى تهيئة المناخ لظهور المذهب الوضعي اتجاه أوربا الى التراث اليوناني والروماني للإستمداد منه ، فقد أعماها التعصب العميق عن الإهتداء بهدي الدين الإسلامي الحنيف ، فصبغت كل ما استمدته من المسلمين من علوم بصبغة مادية يونانية .

فالنهضة الأوربية ، والحضارة التي أقامتها إنما قامت في الحقيقة على أساس المادية ، والعداء للدين ، والروحانيات « فكانت نهضة حقيقتها أنها عودة إلى الثقافة القديمة ، وثورة على ما استحدث العصر الوسيط من أدب ، وفلسفة ، وفن وعلم ، ودين ، وأسباب الحياة السياسية والأقتصادية .

هذه الثقافة تنضح بالوثنية من كل جانب ، فانتشرت الوثنية في الأفكار ، والأخلاق . » (١) .

يقول الاستاذ محمد قطب في هذا الصدد :

< الجاهلية اليونانية ، والجاهلية الرومانية هما الأساس الحقيقي « للحضارة » الأوربية المعاصرة ، ذلك ما تعترف به المصادر الأوربية ذاتها ، وإن كانت بطبيعة الحال لا تسميها جاهلية ، وإنما تسميها حضارة .

ولقد أفادت « النهضة » الأوربية الحديثة كثيرا ـ بل كثيرا جدا ـ من الحضارة الإسلامية كما تقول المصادر الأوربية ذاتها ، ولكنها ـ لم تسر على الخط الإسلامي ، ولا الخط الرباني عامة بما أفادته من الحضارة الإسلامية ، بل صبغت ذلك بالصبغة اليونانية الرمانية ، وعادت إلى وثنيتها الأولى . > (٢) .

---

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة صـ ٦ .

(٢) جاهلية القرن العشرين صـ ٢٢ دار الشروق طبعة عام ١٤٠٣ هـ .

والسمة البارزة التي تتميز بها الحضارة الرومانية ، عن غيرها من الحضارات هي سمة « المادية » .

فهذه الحضارة تتميز بسمات أهمها :

١ ـ الإيمان بالمحسوس ، وقلة التقدير لما لا يقع تحت الحس .

٢ ـ قلة الدين والخشوع .

٣ ـ شدة الإعتداد بالحياة الدنيا ، والإهتمام الزائد بمنافعها ولذائذها .

٤ ـ النزعة الوطنية .

ويمكن أن نحصر هذه المظاهر المشتتة في كلمة مفردة وهي المادية . (١).

ويقول الأستاذ محمد قطب :

« أعظم انحرافات الجاهلية الرومانية إيمانها العنيف بالمادة على حساب الروح ، فالوجود هو الوجود المادي ، الوجود الذي تدركه الحواس ، أما الذي لا تدركه الحواس فهو شيء لا وجود له ، أو في القليل شيء ساقط من الحساب ، ومن ثم كان أشد الجوانب ضحالة في حياة الرومان جانب العقيدة .» (٢) .

وفي ظل هذه الآراء ، وفي هذا المناخ الذي لا أثر فيه للإيمان بالدين ، والروح إلا لدى فئات قليلة من المجتمع الذي أصبحت السمة البارزة له هي الإيمان بالمحسوس ، والإعتماد عليه ، وإنكار ما عداه مما لا يمكن إخضاعه للحس ، والتجربة نشأ المذهب الوضعي ، وقام على هذه الأسس التي قامت عليها الحضارة الأوربية ، واتسم بنفس السمات التي اتسمت بها هذه الحضارة .

---

(١) أنظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : أبو الحسن الندوي صـ ١٥٧ .

(٢) جاهلية القرن العشرين صـ ٢٧ .

جـ ـ التقدم العلمي :

أحرز العلم تقدماً هائلاً في القرن التاسع عشر الميلادي شمل جميع مناحي الحياة ، ويسَّر سبل الراحة ، والرفاهية للشعوب ، وأدَّى ذلك إلى اهتمام الناس بالعلم ، ومنجزاته ، وازدياد إيمانهم به ، واتجاه أنظارهم إليه وحده ليقدم لهم حلولاً شاملة لكل مايعترض حياتهم من مشكلات خاصة بعد أن فقدوا الإيمان بالدين المسيحي ، ونفروا منه نتيجة لتلك الممارسات التي مارستها الكنيسة في حق شعوبها .

وأصبحت الحالة في المجتمعات الأوربيَّة أن آمن الناس أنه « ثمة طريقة واحدة أثبتت قيمتها في العالم الإنساني هي الطريقة العلمية ، وعلى الإنسانية أن لا تعول إلا عليها ، فليدرك المفكرون إذن قوة هذه الطريقة ، ليطبقوها على العلم الواجب إيجاده ، على علم المجتمعات ، بذلك يصنعون الأداة التي لا غنى عنها للنهوض بالعالم الإنساني المتزعزع ، وإن المعرفة العلمية بالحياة الإجتماعية ستسمح بتنظيم هذه الحياة لخير الجميع . » (١) .

ويقول حسن شحاته سعفان :

إن القرن التاسع عشر تجلى فيه بوضوح « التقدم الهائل الذي أحرزته العلوم من اكتشاف لقوة البخار والكهرباء ، وما تمخض عن ذلك من نتائج علمية ضخمة ، إلى جانب ماتوصلت إليه علوم الكيمياء ، ووظائف الأعضاء والتشريح من إكتشافات خطيرة أدت إلى رفاهية الجنس البشري . وكانت هذه النتائج من أكبر العوامل التي قادت الفلاسفة والأخلاقيين والسياسيين والمشتغلين بالعلوم الإجتماعية على وجه العموم إلى التساؤل عما إذا كانت علومهم هي الأخرى تستطيع التوصل إلى قواعد وقوانين يفيد منها الجنس الإنساني كما أفاد من دراساته في العالم المادي » (٢) .

---

(١) أندريه كريسون : تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتي العصر الحديث . صـ ٢٨٠ . ترجمة : نهاد رضا ـ ط : ٢ عام ١٩٨٢ م . منشورات البحر المتوسط .

(٢) تاريخ الفكر الإجتماعي ـ ط ٣ عام ١٩٦٥ م . الناشر ـ دار النهضة العربية .

فالتقدم العظيم الذي أحرزه العلم التجريبي في مجالات علم الطبيعة ، والفلك والميكانيكا ، وغيرها من العلوم هو الذي دفع هؤلاء إلى توجيه أنظارهم إلى العلم لحل جميع المشكلات التي يتعرضون لها في حياتهم . فكان ذلك عاملا من العوامل التي أدت إلى نشأة المذهب الوضعي .

د ـ الثورة الفرنسية :

تعتبر الثورة الفرنسية التي قامت عام ١٧٨٩ م عاملاً هاماً من العوامل التي أدت إلى نشأة الوضعية ، ويقرر هذا الأمر« أوجست كونت » بقوله :

« لولاها (أى الثورة الفرنسية) لما أمكن أن توجد نظرية التقدم ، ولما أمكن تبعا لذلك أن يوجد العلم الإجتماعي ، ولما أمكن بالتالي أن توجد الفلسفة الوضعية . » (١) .

وكانت هذه الثورة قد أتت على جميع المعتقدات التي كانت سائدة قبل قيامها ، وزعزعت القيم ، والأخلاق الثابتة ، وزلزلت النظم التي كانت سائدة آنذاك ، حتى دب الشك إلى النفوس .

وهكذا خلّفت الثورة الفرنسية مجتمعاً يسوده الفوضى ، والإضطراب ، وبدت هذه الثورة غير قادرة على إنجاز أهدافها التي قامت من أجلها ، مما أدى الى ظهور عدد من المصلحين الذين لم يكن لهم من همٍّ سوى أن يعود النظام ، والتماسك إلى أفراد المجتمع ، وأن يسود الإستقرار ، ويقضى على الفوضى السائدة فيه .

---

(١) نقلا عن ليفي بريل : فلسفة أوجست كونت صـ ١٨ . ترجمة محمود قاسم ، السيد محمد بدوي ، ط (٢) مكتبة الأنجلو المصرية .

وقد تعددت الآراء التي ارتآها هؤلاء المصلحون في سبيل إصلاح المجتمع ، فمنهم من كان ينادي بضرورة العودة بالمجتمع إلى الوراء ، وإعادة المعتقدات التي كانت سائدة فيه ذلك لأنَّ الثورة استطاعت الهدم لا البناء ، ومنهم من كان يتمسَّك بأهداف هذه الثورة ، وما تدعو إليه من نبذ لكل قديم ، ولكل مايمت إلى الدين النصراني بصلة .

وفي ظل هذه الظروف ظن « أوجست كونت » أنه هو الذي يمكنه إعادة النظام والإستقرار إلى المجتمع وأن من سبقه من المصلحين قد أخطأوا فيما نادوا به .

فأنصار العودة إلى القديم قد جانبهم الصواب لأنّه لا يمكن تجاهل التقدم الهائل الذي بلغه العلم في ذلك العصر ، والمكتشفات التي حقَّقت للإنسانية مستوى أفضل من التقدم ، والرفاة ، ولذلك فإن المعتقدات التي كانت سائدة قبل الثورة لايمكنها أن تساير التقدم العلمي الذي حققه العصر ، فهذه المعتقدات والآراء « كان لها قيمتها في إحدى مراحل التاريخ ، ولكنها لم تعد تتكيف وحاجات الفترة الحالية ، ولم تعد تتناسب مع حالة الأذهان القادرة حقا على التفكير . » (١) .

أما أنصار التجديد والثورة فقد جانبهم الصواب لأنَّ « مبادىء الثورة ، وطرائقها كانت ممتازة في سبيل الهدم ، ولكنها غير مفيدة من أجل البناء . » .(٢)

ولذلك فقد رأى « كونت » في نفسه القدرة على إصلاح المجتمع وتستر خلف ستار الاصلاح في الترويج لآرائه الهدَّامة ، ومذهبه الباطل .

---

(١) أندريه كريسون : تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث صـ ٣١٣ .

(٢) نفسه صـ ٣٠١ .

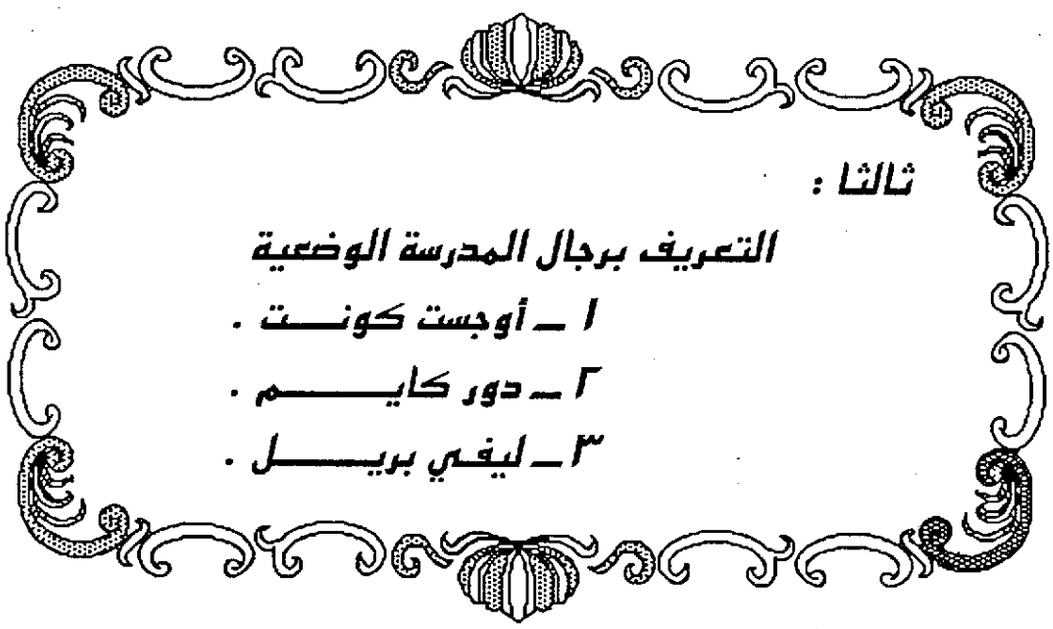

ثالثا :

التعريف برجال المدرسة الوضعية

١ ـ أوجست كونـــت .

٢ ـ دور كايـــم .

٣ ـ ليفي بريـــل .

أشهر رجال المدرسة الوضعية هم : -

ا - أوجست كونت : -

ولد عام ١٧٩٨ م في مدينة « مونتبلية » بفرنسا لوالدين كاثوليكيين (١) وقد إشتهرت والدته بتدينها ، كما كانت ذات عاطفة رقيقة » (٢) أما والده فقد « كان نموذجا للموظف الحكومي المستقيم الذي يكـــرس حيـاته لعمله ، وأسرته . » (٣) .

فأوجست كونت نشأ في أسرة كاثوليكية محافظة إلا أنه « وفي سنواته الدراسية المبكرة تخلّى عن إتجاه أسرته الملكية ، وأصبح جمهوري النزعة ، يؤمن بمبادىء الحرية . » (٤) .

تعليمه :

بدأ « كونت » دراسته الثانوية في التاسعة من عمره ، واتجه في أول الأمر إتجاهاً أدبياً ، وكانت له ذاكرة جيدة للحفظ ، واستظهار ما يقرأ .

ولما بلغ الخامسة عشر من عمره ترك شعبة الآداب ، والتحق بشعبة الرياضة وأراد دخول مسابقة مدرسة الهندسة الحربية العليا لكن سنه لم تكن قد تجاوزت السادسة عشر فانتـظر سنة أخرى ، حتى دخـلها عام ١٨١٤ م . (٥) .

---

(١) أنظر الموسوعة الفلسفية المختصرة نقلها عن الإنجليزية فؤاد كامل وآخرون / تقديم زكي نجيب محمود صـ ٣٥٦ .

(٢) مقدمة ترجمة كتاب ليفي بريل : فلسفة أوجست كونت / محمود قاسم ، السيد محمد بدوي صـ ٣ .

(٣) محمود عوده : تاريخ علم الإجتماع جـ ١ صـ ٦٨ مطبعة دار النهضة العربية .

(٤) نفسه صـ ٦٨ .

(٥) أنظر مقدمة ترجمة كتاب ليفي بريل : فلسفة أوجست كونت صـ ٤ .

واجهت « كونت » في حياته شدائد ، ومصاعب أثرت عليه ، وعلى تفكيره ، فهو لم يستطع الإستمرار في تلقي علومه في المدرسة التي إلتحق بها ، لمواقفه السياسية ، حيث فصل من هذه المدرسة نتيجة ثورته على السلطات الحكومية لأنه « في عام ١٨١٦م تزعَّم حركة عصيان قام بها الطلاب ، وكان من نتيجتها أن طرد ، وبقية زملائه في نفس السنة الدراسية » . (١) .

ويقول مصطفى الخشاب :

« كان كونت قد تظاهر في سنة ١٨١٦ م مع زملائه ضد بعض التشريعات التي لم ترض الرأى العام ، فأبعد عن المدرسة هو وتلاميذ فصله ، ورجع إلى مونبيليه في حراسة البوليس ، وظل مراقباً بضع شهور ، وعنى في هذه الفترة بدراسة العلوم الطبيعية ، والكيميائية ، والطب ، ولكنه مالبث أن عاد إلى باريس حيث التمس الرزق من إعطاء دروس في الرياضيات ، وأصبحت هذه الدروس الخصوصية هي دخله الوحيد . » (٢) .

وقد واجه « أوجست كونت » أزمة مالية ، وذلك لعدم إتاحة فرصة عمل له في بلاده نتيجة لمواقفه السياسية من حكومة بلده ، فكان يعطي دروسا خصوصية في الرياضيات ، ويعيش على مورده منها ، وكان في أثناء ذلك أيضا يتابع بحثه ، ودراساته ، فدرس آراء الكثير من الفلاسفة ، وتأثر بأفكار البعض منهم ، وكان ممن تأثر بهم « سان سيمون . » (٣) الذي التقى به عام ١٨١٧م « وأصبح سكرتيرا له » . » .

---

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة صـ ٣٥٦ .

(٢) أوجست كونت صـ ١٢ الطبعة الثانية عام ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ م مطبعة لجنة البيان العربي .

(٣) هنري دي سان سيمون : ولد عام ١٧٦٠ ، وتوفي عام ١٨٢٥ وهو أحد دعاة المذهب الإشتراكي وينتمي إلى أصول أرستقراطية ، وهو من الشخصيات التي لم تحظ بتعليم منّظم نسبيًا ، وعنده نجد معظم الأفكار التي قال بها « كونت » وقد كان شأنه شأن فلاسفة التنوير مؤمنًا إيمانًا عظيماً بقدرة العقل على تغيير العالم ، وهي الأفكار التي أخذها منه « كونت » ، وطوَّر من خلالها فلسفته الوضعية ، وقد تطلع إلى مرحلة تحقَّق فيها العلوم الانسانية الوحدة ، والدقة اللتين تحظى بهما العلوم الطبيعية .

(أنظر تاريخ علم الاجتماع : محمود عوده صـ ٤٥).

وكان « سان » هذا حين التقى « أوجست كونت » به في البستين من عمره تقريبا ومع ذلك كان نشيطاً ، وقد أعجب « بكونت » ، وقر به إليه ، وجعله سكرتيراً له واستمرت العلاقة بين كونت ، وسان سيمون أربعة أعوام ، كان سان سيمون فيها موضع التقدير والإعجاب عند « كونت » ، وأحبه كثيراً ، واعتبره أستاذاً له ، وسمّى نفسه (تلميذ سان سيمون) ، وقد استمد منه كونت كثيراً من آرائه ، وأفكاره ، واستفاد منه في حياته العلمية المبكرة ، وساهم كونت في مؤلفات أستاذه ومشروعاته ، وكتاباته .

غير أنّ العلاقة بينهما لم تدم طويلاً ، ولم يلبث الشقاق أن دبّ بينهما فانفصلا ، ويرجع السبب في ذلك إلى :

« ان كونت كان قد مل « من استمرار أستاذه في معاملته معاملة التلميذ الذي عليه أن يطيع دون مناقشة ، وقد تطلع « كونت » في هذه الفترة إلى أن يكون إسماً له منفصلاً عن أستاذه ، كما اختلف الإثنان أيضا حول الإستراتيجية التي ينبغي أن تستخدم للتأثير على الجماهير فقد كان « سان سيمون » النشط يؤكد على ضرورة الإصلاح الفوري للمجتمع ، وعلى أن يقوم بهذا الإصلاح رجال المال والأعمال ، وهم الفئة التي كانت تسانده ، أما « كونت » فكان يرى ضرورة تطوير العمل النظري ، والمبادىء العلمية أولا » (١) .

وبانفصال « كونت » عن « سان سيمون » واجهته الأزمة المالية أيضا ، إلا أنّ ضيق الحال لم يمنعه من اللهو ، والمتعة .

---

(١) تاريخ علم الإجتماع : صـ ٧٠ ـ ٧١ ، تأليف : د. محمود عوده .

يقول « محمود قاسم » :

« لم يكن ضيق العيش حائلاً دونه ودون البحث عن المتعة واللهو ، فكان يخرج في كثير من الأحيان إلى حدائق « باليه رويال » حيث تكثر الغانيات ، وهناك عرف « كارولين ماسان » التي اتخذها زوجًا له فيما بعد » (١) .

وقد اعترف « أوجست كونت » في وصيته أنه كان يستفيد من هذه المرأة التي اتخذها زوجة له من خدماتها وهي بغي حيث جاء في الموسوعة الفلسفية مانصه :

« في عام ١٨٢٥ تزوج من كارولين ماسان التي التقى بها لأول مرة – كما يقول في « الملحق السري » الذي أضافه إلى وصيته – حينما كان يفيد من خدماتها وهي بغي . » (٢) .

وفي عام ١٨٢٦ أخذ « كونت » يلقي محاضرات في منزله ، وكانت هذه المحاضرات في موضوع « الفلسفة الوضعية » حيث كانت الأسس الفلسفية لمذهبه الوضعي قد اختمرت في ذهنه ، وأخرج كتابًا عن التفكير الوظعي لقي رواجًا مما شجعه على إلقاء هذه المحاضرات ، ولكن عدد الذين جاءوا للإستماع إليه كان أقل مما كان يأمل .

وفي أثناء إلقائه المحاضرات أصابته نوبة من الخبل والجنون .

وجاء في الموسوعة الفلسفية المختصرة ما يلي :

« بدأ كونت في عام ١٨٢٦ م إلقاء سلسلة من المحاضرات العامة في « فلسفة الوضعية » وكان يتابع هذه المحاضرات بعض أقطاب العلم ، لكن «كونت» إضطر إلى الإنقطاع عن إلقاء هذه المحاضرات بسبب مرضه العقلي ، وفي العام التالي حاول أن ينتحر غرقا في نهر السين . » (٣) .

---

(١) مقدمة ترجمة فلسفة أوجست كونت : ليفي بريل صـ ٥ .

(٢) الموسوعة الفلسفية المختصرة صـ ٣٥٦ .

(٣) صـ ٣٥٦ . من الموسوعة .

ولكن كونت عاد إلى إلقاء المحاضرات عام ١٨٢٩ م حين شفي من مرضه ، وقد حاول كثيراً الحصول على كرسي الأستاذية بمدرسة الهندسة حيث رشح نفسه لذلك عام ١٨٣١ م إلا أن محاولاته باءت بالفشل ، ولم يستطع الحصول على هذه الوظيفة ، فقضى بقية حياته على ماكان يحصل عليه من إلقائه لمحاضرات في الدروس الفلسفية ، وعلى ماكان يأتيه على شكل مساعدات من المعجبين بفلسفته .

وكانت زوجته قد افترقت عنه عام ١٨٤٢ لأنها لم تستطع الصبر على شظف العيش معه ، وكان قد التقى بسيدة هي « مدام كلوتيلد دي فو » وقامت بينه وبينها علاقة صداقة انتهت كما يقول الدكتور محمود قاسم :

« إلى نوع من الإمتزاج الفكري ، وكان كونت يعبد هذه المرأة ، ويقدسها تقديسا حقيقيا . » (١) .

وهكذا فإن تأثير هذه المرأة على « أوجست كونت » كان كبيراً جداً لدرجة أنه انتقل في آرائه من النقيض إلى النقيض ، فبعد أن كان في أول حياته يدعو إلى العقل ، وإلى سيادة منهج العلم التجريبي وحده ، نراه في آخر حياته يمجد العاطفة ، ويقدمها على العقل .

يقول مصطفى الخشاب في هذا الصدد :

< مع أن مدة صداقته لها كانت قصيرة فقد أثرت أبعد الأثر في حياته ، وبالرغم من أنها لم تضف شيئا إلى مواهبه ، واستعداده العقلي ، غير أن صداقته لها فتحت عينيه إلى نواح من الحياة لم تتكشف له من قبل ، وإلى مطالب العواطف والنزعات الإنسانية ، وإلى قيم أخرى لها اعتبارها في السلوك الإنساني. > . (٢) .

---

(١) مقدمة ترجمة فلسفة أوجست كونت : ليفي بريل صـ ٩ .

(٢) إوجست كونت صـ ١٩ .

وكان من أثر هذه المرأة على أوجست كونت تحوله إلى كاهن لدين من اختراعه هو « دين الإنسانية » .

وجاء في الموسوعة الفلسفية المختصرة في هذا الصدد ما يلي :

« لقد زعم كونت أنَّه تعلم على يديها (أى هذه المرأة) أهمية إخضاع العقل للقلب ، واتخذت كتاباته بعد موتها في عام ١٨٤٦ طابعاً جديداً ، فما كان المجتمع ـ وفقا لاتجاه فكره الجديد ـ ليتجدد عن طريق العلوم الطبيعية ، والإجتماعية ، وبقوة العلماء الروحية فحسب ، ولكن عن طريق دين دنيوي هو دين الإنسانية ، وهو الدين الذي كان من المفروض أن يكون كونت كاهنه الأكبر . » (١).

مؤلفاته :

أهم مؤلفاته كتابه : « دروس في الفلسفة الوضعية » الذي جاء في ستة أجزاء كتبه في الفترة من عام ١٨٣٠ إلى عام ١٨٤٢ م .

(وهذا هو مؤلفه الرئيسي ، وفيه يبسط نظريته في المعرفة ، وفي العلوم ، ويضع أسس العلم الجديد الذي أسماه بعد ذلك علم الإجتماع والدعوى الأساسية التي يطرحها كونت في هذا المؤلف للبحث هي أننا ينبغي أن ننصرف عن محاولتنا استكشاف علل للعالم الطبيعي فيما وراء هذا العالم سواء حاولنا ذلك بناء على أساس لاهوتي أم على أساس طبائع أو ماهيات ميتافيزيقية ، وذلك في سبيل المنهج العلمي الذي يربط وقائع الملاحظة بعضها ببعض .) (٢) .

---

(١) صـ ٣٥٧ من الموسوعة الفلسفية المختصرة .

(٢) نفسه صـ ٣٥٦ .

ومن المؤلفات التي يشرح فيها « دين الإنسانية » :

« النظرة العامة للوضعية » عام ١٨٤٨م ، و « تعاليم الدين الوضعي » عام ١٨٥٢م ، والمجلدات الأربعة التي بعنوان « نظام الحكم الوضعي » ، وثمة مقالة أخرى كتبها في وقت مبكر من عمره بهذا العنوان » (١) .

الآراء التي أثرت في « أوجست كونت »

يجمع المؤرخون على أن آراء « سان سيمون » الذي صحبه « أوجست كونت » هي التي أثَّرت عليه ، وظهرت واضحة في مؤلفاته .

إلا أن « أوجست كونت » لا يعترف بالفضل لأستاذه (ويغفل تماما إسم « سان سيمون » ومع ذلك فقد كان يعرفه معرفة شخصية لأنَّه كان كاتباً عنده ، وعلى كل حال فقد أثَّر تأثيرا حاسماً في تطور فكر كونت ، وقد اقتدى بسان سيمون حينما عدَّ نفسه مؤسساً لدين . » (٢) .

ويقول ج بنروني أيضا :

> وسان سيمون قد اختط إلى حد كبير الطريق إلى الوضعية التجريبية ، وفي نقط جوهرية نجده السلف المباشر « لأوجست كونت » إنه أول من استخدم اللفظ « وضعي » بمعنى المذهب الوضعي .. إنه يتنبأ بقرب مقدم عصر الأفكار الوضعية التي ينبغي أن تحل محل الأفكار الخارقة للطبيعة ويطرح كل تفكير نظري ميتافيزيقي ، ويتحدث عن إمكان وضرورة دراسة المجتمع دراسة علمية خالصة ، ويود أن يستبدل بالنزعة التأليهية نزعة طبيعية أى نوعاً من دين العلم ، وسان سيمون يطالب بسياسة فزيائية ، وعلم اجتماع أى بفسيولوجيا للمجتمع موضوعها دراسة الناس المجتمعين في جماعة ، وذلك بمنهج وضعي . <(٣) .

---

(١) نفسه .

(٢) ح بنروبي : مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا ج ١ ص ١٠ ترجمة عبد الرحمن بدوي ط ٢ المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

(٣) نفسه صـ ١٠ .

وهذه الآراء التي دعا إليها « سان سيمون » هي نفسها التي ظهرت في مؤلفات « أوجست كونت » فيما بعد .

ويقول الدكتور حسن سعفان :

إن [لـ « سان سيمون » أكبر الأثر في توجيه أوجست كونت إلى إنشاء علم الإجتماع ، فلقد اعتمد كونت عليه في معظم آرائه والبحوث التي قام بها سيمون فيما سماه العلم السياسي هي تقريبا ما سماه أوجست كونت « علم الإجتماع » ذلك أن أصالة « كونت » لم تكن كبيرة مما دعا بعض علماء الإجتماع إلى القول بأنه لم يفعل أكثر من مجرد تنظيم الأفكار والنظريات السابقة عليه ، والسائدة في عصره .] (١) .

وكذلك تأثر « أوجست كونت » في قانونه الشهير الذي توصّل إليه وهو قانون الحالات الثلاث ، ونظريته عن التقدم بمن سبقه فقد كان معروفا عند غيره من الفلاسفة أمثال « جاك تيرجو » (١٧٢٧ ـ ٨١) الذي « حاول أن يوضح أن تقدم معرفة الإنسان بالطبيعة كانت مصحوبة بتحرر عقله تدريجيا من التصورات والمفهومات الغيبية ، وقد مرت هذه العملية ـ في رأيه ـ بمراحل ثلاث على النحو التالي :

الأولى :

افترض فيها الناس أن هناك كائنات عاقلة تحدث الظاهرات الطبيعية وهي غير مرئية ، ولكنها تتجلى .

الثانية :

بدأ فيها الناس يفسرون هذه الظواهر بواسطة تعبيرات محددة مثل الجوهر ، والقوة .

---

(١) تاريخ الفكر الإجتماعي والمدارس الإجتماعية صـ ١٧٩ .

الثالثة :

قام الناس فيها بصياغة فروض يمكن تسميتها بالرياضيات وتحقيقها بالتجربة ، وذلك من خلال ملاحظاتهم للأفعال الميكانيكية المتعادلة » (١).

وبعد فهذه نبذة مختصرة عن حياة « أوجست كونت » مؤسس المدرسة الوضعية الفرنسية لانرى فيها أي مثالية تستحق الاشادة به ، واعتباره مصلحًا من المصلحين ففي حياته – كما رأينا – الكثير من المزالق والعيوب مما يجعل الانسان يأنف من سيرته ، ولكننا مع ذلك نجد معظم كتب علم الاجتماع العربية تشيد « بأوجست كونت » وتراه مفكرًا ، ومصلحًا ، وتكيل له مختلف ألوان الثناء .

وإنني أتساءل كيف يمكن أن يكون « أوجست كونت » موضع اعجاب وتقدير من المؤلفين العرب ، وهم يعلمون أنه كان – باعترافه نفسه – يستفيد من بغي تعرّف عليها ، ثم تزوّجها بعد ذلك ؟ كما أنّه ارتبط مع امرأة متزوجة بنوع من الصداقة ، ثم عبدها بعد موتها ودعا إلى عبادة المرأة ، وقال إنّ علاقته بها قد جعلته يقدر قيمة العواطف في حياة الانسان ، وينزلها منزلة أسمى من العقل ، وهذا نقيض مادعا إليه أول حياته ، وهذا إن دلّ على شيء فيدل على مدى تذبذب هذا الرجل في أفكاره ، وآرائه ، وعدم ثباته على مبدأ واحد ، فهو في الحقيقة قد أخفى الحاده ، وتستر خلف ستار العلم مدّعيًا أنّ ماتوصل اليه كان نتيجة للبحث والدراسة ، وهو في الحقيقة – كما سيتضح لنا – ليس إلا نتيجة للتأمل والخيال ، وقد خدع ضعيفي الإيمان من المستغربين الذين انطلقوا وراءه ناعقين بأنّ الدين نشأ بفعل الخرافات والأساطير إلى غير ذلك من آراء ، وضلالات نفثها بين قومه ، وتلقّفها المستغربون عندنا ، وروّجوا لها في كتبهم .

وسنتعرف على آرائه هذه في الباب الأول من هذه الرسالة ، ومن ثمّ سيكون النقد الاسلامي لهذه الآراء الهدّامة في الباب الثاني بمشيئة الله تعالى .

---

(١) نيقولا بتماشيف : نظرية علم الإجتماع صـ ٤٤ .

٢ ـ اميل دور كايم

مولده :

ولد في مدينة « أيبينال » عام ١٨٥٨ بمقاطعة اللورين في الجنوب الشرقي من فرنسا لوالدين يهوديِّين . (١) .

نشأته :

نشأ دور كايم نشأة دينية ، وقد درسه والده الدين اليهودي منذ سن مبكرة جدا من حياته فقد كان « إبنا لرجل دين يهودي ، وسليلاً لسلسلة طويلة من رجال هذا الدين ، مما دفعه إلى أن يقرر مواصلة طريق أجداده في فترة مبكرة من حياته ، ولذلك فقد درس العبرية ، والعهد القديم ، والتلمود في الوقت الذي واصل فيه دراسته المنظمة في المدارس العلمانية ». (٢) .

تعليمه :

تلقى دوركايم تعليمه في المدارس الحكومية في بلده إلى أن حصل على شهادة الثانوية . وقد كان يميل إلى مهنة التدريس ، ولذلك فقد تقدم إلى الإمتحان للدخول في مدرسة المعلمين العليا في باريس عام ١٨٧٩ ، وقد اجتاز القبول في هذه المدرسة ، التي كانت من خيرة المدارس ، ودرس بها صفوة علماء فرنسا .

ولكن « دور كايم » لم يعجبه النظام السائد في الدراسة في هذه المدرسة ، وذلك لأنها كانت محافظة على النظام التعليمي القديم ، وفي شبه عزلة عن التيارات العلمية الجديدة ولذلك كان « دوركايم » يبدي تبرمه ، وسخطه من

---

(١) نيقولا تيماشيف : النظرية علم الإجتماع صـ ١٦٨ ، حسن شحاته سعفان : تاريخ الفكر الإجتماعي صـ ٢٤٠.

(٢) محمود عوده : تاريخ علم الإجتماع جـ ١ مرحلة الرواد صـ ١٨٩ .

هذا النظام مما دفع أساتذته إلى وضعه في مؤخرة الناجحين حتى تخرج من هذه المدرسة في عام ١٨٨٢ . (١) .

وقد كان من بين الأساتذة الذين أعجب بهم « دوركايم » من هذه المدرسة :

< اميل بوترو » أستاذ الفلسفة الذي حبب اليه دراسة الفلاسفة القدماء ، وكذلك « فوستيل دي كولدنج »الذي برع في طريقة تدريسه للتاريخ >(٢) .

وقد عمل « دوركايم » بعد تخرجه من هذه المدرسة بمهنة التدريس فدرس مادة الفلسفة فيما بين عام ١٨٨٢ ، ١٨٨٧ م في عدد من مدارس الأقاليم القريبة من باريس .

إهتماماته العلمية :

اهتم « دوركايم » بمعالجة المشكلات الخلقية التي كان يعج بها المجتمع الفرنسي آنذاك ، وتطلع إلى إيجاد علم يمكن على ضوئه حل هذه المشاكل بطريقة علمية « فأولى لذلك الدراسات الإجتماعية مزيد اهتمامه ، ولعل شغفه بها جعله يسافر إلى ألمانيا لفترة قصيرة حيث تتلمذ على أقطاب مفكريها » (٣) . وإلى جانب الدراسات الإجتماعية فقد :« درس الإقتصاد ، والفولكور ، والأنثرولوجيا الثقافية » (٤) .

وبعد عودته من ألمانيا تطلع « دوركايم » إلى أن تحذو فرنسا حذو ألمانيا في توجيه الفلسفة لخدمة أهداف اجتماعية .

---

(١) أنظر في هذا الصدد : مبادىء علم الإجتماع : السيد محمد بدوي صـ ١٦٠. ، تاريخ علم الإجتماع محمود عوده صـ ١٩٠ .

(٢) مبادىء علم الإجتماع صـ ١٦٠. نشر مكتبة الأنجلو المصرية عام ١٩٨٤ م .

(٣) علم الاجتماع ومدارسه الكتاب الأول صـ ٢٦٩ لمصطفى الخشاب .

(٤) نيقولا تيماشيف : نظرية علم الإجتماع صـ ١٦٨ .

وقد برز « دوركايم » لما كتبه من أبحاث ، ومقالات إجتماعية شدت إليه الأنظار فقد « نشر عدة مقالات عن الشئون الإجتماعية والتربوية في المجلات الفلسفية ، والتربوية الفرنسية مما أدى إلى تكليفه بتدريس العلوم الإجتماعية ، والتربية في كلية الآداب .ببوردو » (١) .

وكان تعيينه أستاذا في جامعة بوردو عام ١٨٨٧ م ، فقد قررت الجامعة تدريس علم الإجتماع بعد أن كانت لاتهتم بأبحاث « أوجست كونت في هذا المجال ، وقد شهدت سنوات عمله في جامعة بوردو أخصب فترات نشاطه الثقافي ، فبالإضافة إلى تدريسه لعلم الإجتماع والتربية ، واصل نشره لعدد من المقالات النقدية ، وفي عام ١٨٩٣ م . قدم رسالته الفرنسية للدكتوراة عن « تقسيم العمل الإجتماعي » . (٢) .

تأثره بأوجست كونت :

يعترف « دوركايم » « لأوجست كونت » بفضله عليه يقول ج بنروبي :

« إن دوركايم » لايتردد في أن يعترف بفضل كونت في إنشاء علم الجماعات الوضعي ، لأنه بفضل كونت أصبح علم الإجتماع عاملا في الحياة العلمية » .(٣)

ويقول محمود عوده في هذا الصدد : « وجدير بالذكر أن كتاب تقسيم العمل الإجتماعي يحتوي على أكثر من سبع عشرة إشارة ، يقدر معظمها تقديرا بالغا مؤلف « دروس في الفلسفة الوضعية » أى « أوجست كونت » ، ويعترف « دوركايم » بأن « كونت » قد أدرك تماما أن تقسيم العمل يؤدي إلى التضامن

---

(١) حسن شحاته سعفان : تاريخ الفكر الإجتماعي صـ ٢٤١ .

(٢) محمود عودة : تاريخ علم الإجتماع صـ ١٩٢ .

(٣) مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا جـ ١ صـ ١٢٧ .

الأجتماعي ، كما يعترف أيضًا بأن القوة الموحدة للمعتقدات الأخلاقية بوضعها أساس التضامن ، والتكافل الذي يترتب على تقسيم العمل الاجتماعي هي أفكار مستمدة من أوجست كونت وسان سيمون » (١) .

ومن هذا يتبين لنا أن « دوركايم » قد سار على خطى « أوجست كونت » واستفاد من أبحاثه التي قدمها في هذا المجال ، وخاصة دعوته إلى دراسة الظواهر الإجتماعية دراسة علمية ، إلا أن « دوركايم » أضاف الكثير إلى انتاج « كونت » وصحح بعضا من الأخطاء التي وقع فيها .

« فأوجست كونت » لم يحدد الظاهرة الإجتماعية ، فأتم ذلك « دوركايم » وحدد موضوع علم الإجتماع ، ووضع منهجه ، ولذلك أعتبر « دوركايم »المؤسس الحقيقي لعلم الإجتماع .

مؤلفاته :

أهم المؤلفات التي تركها « دوركايم » هي :

١ ـ تقسيم العمل الإجتماعي (١٨٩٣م) .

٢ ـ قواعد المنهج الإجتماعي (١٨٩٥م) .

٣ ـ الإنتحار دراسة إجتماعية (١٨٩٧م) .

٤ ـ الأشكال الأولى للحياة الدينية (١٩١٢).

٥ ـ المجلة الإجتماعية المعروفة باسم (السنة الإجتماعية أو التقويم الإجتماعي) .

---

(١) تاريخ علم الإجتماع : مرحلة الرواد جـ ١ صـ ١٩٥ .

وهناك مؤلفات نشرت بعد وفاته هي :

١ ـ التربية وعلـم الإجتماع .

٢ ـ علم الإجتماع والفلسفة .

٣ ـ التربية الأخلاقيـــــة .

٤ ـ كتاب الإشتراكية . (١) .

٣ ـ ليفي بريل

مولده :

ولد عام ١٨٥٧ بمدينة باريس .

تعليمه :

* تخرج من مدرسة المعلمين العليا عام ١٨٧٦ م .
* حصل على درجة « الأحرجاسيون » في الفلسفة عام ١٨٧٩ م .
* حصل على درجة « الدكتوراه » عام ١٨٨٤ م .

ثم أصبح أستاذا للفلسفة من عام ١٨٨٥ م إلى عام ١٨٩٥ م .

ثم أصبح محاضرا بالسربون ، وعهد إليه بإلقاء عدد من المحاضرات ، ثم رقي إلى منصب أستاذ مساعد عام ١٩٠٥ م .

ثم إلى منصب الأستاذية في عام ١٩٠٨ م ، وانتخب عضواً في أكاديمية العلوم الأخلاقية عام ١٩١٧ . (٢) .

---

(١) نقلا عن : مصطفى الخشاب : علم الإجتماع ومدارسه ، الكتاب الأول صـ ٢٧٠ .

(٢) نقلا عن : مقدمة الترجمة : لكتاب الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية بقلم : دكتور محمود قاسم صـ(ب)

إتجاهاته الفكرية :

يعتبر « ليفي بريل » من أبرز أنصار الوضعية يقول ج بنروبي :

« لاشك أن « ليفي بريل » هو أبرز أنصار وضعية « أوجست كونت » من بين ممثلي الحركة الفلسفية المعاصرة في فرنسا . » (١).

ويقول أيضا :

« صحيح أن ليفي بريل تأثر في شبابه بالفلسفة الألمانية ، وبدأ حياته العلمية مؤرخا للفلسفة ، لكن تأثير كونت كان هو العامل الحاسم في تطور فكره ، كما ينبغي ألا نهمل إعجابه المخلص ببعض الفلاسفة الإنجليز ، وخصوصا ديفيد هيوم (*) .. ومن بين المفكرين المعاصرين كان « دوركهيم » خصوصا هو الذي أخصب فكر ليفي بريل على النحو الأرسخ .. فإن من الممكن أن نقرر أن مؤلفات ليفي بريل المميزة هي التي تشهد على التأثير العميق لعلم الإجتماع الدوركيهمي » (٢) .

فقد اتجه « ليفي بريل » في كتاباته إلى « علم الإجتماع » ودراسته بطريقة علمية كما نادى بذلك « كونت » ، « ودوركايم » من بعده ، ودعا إلى تطبيق المنهج العلمي الإستقرائي على « الأخلاق » حيث اعتبرها ظواهر من ظواهر المجتمع أيضا ، ويتجلى ذلك واضحا في مؤلفه : « الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية » ، ولذلك فقد كان من دعاة هدم علم الأخلاق والفلسفة الخلقية التقليدية ، واستبدالها بعلم الأخلاق الوضعي ، الذي يقوم بدراسة العادات الخلقية السائدة في المجتمع أولا ثم التوصل بعد ذلك إلى القواعد التي تنظم السلوك الإنساني ، وهذا ماسنتعرف عليه بمشيئة الله تعالى عند بسط آرائه .

---

(١) مصادر وتيارات الفلسفة صـ ١٧١ . المؤلف ج بنروبي ، المترجم : عبد الرحمن بدوي .

(*) ديفيد هيوم عام ١٧١١ ـ ١٧٧٦ ولد في اسكتلنده كان أديبا ورجلا من رجال المجتمع ، والمنصب الوحيد الهام الذي شغله هو منصب سكرتير السفارة البريطانية في باريس عام ١٧٦٣ ـ ١٧٦٩ .

(٢) مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا صـ ١٧٢ .

أهم مؤلفاته :

١ ـ فلسفة أوجست كونت ١٩٠٠ .

٢ ـ فلسفة جاكوني ١٨٩٤ .

٣ ـ الأخلاق ، وعلم العادات الأخلاقية ١٩٠٣ .

٤ ـ الوظائف العقلية في المجتمعات المنحطة .

٥ ـ العقلية البدائية .

٦ ـ الروح البدائية .

٧ ـ الأساطير البدائية .

ويتضح لنا أنّ ليفي بريل (يكمل كونت بدور كايم وذلك بأن يحاول أن يستبدل بالأخلاق القائمة على أساس أنّ الانسان مركز الكون أخلاقًا قائمة على أساس أنّ المجتمع هو المركز ، فالتخلي عن الأخلاق القائمة على أساس أنّ الانسان هو المركز هو التخلي النهائي عن المصادرات الغائية ، والدينية ، وإدراج العلم بالأمور الأخلاقية أو الاجتماعية ضمن القانون المشترك لعلوم الطبيعة) (١) .

ويرى « ليفي بريل » أنّ الشرط الأهم لتفسير الفكر كله هو الرجوع إلى أصول التطور التي تعرّض لها الانسان في حياته ، ولذلك فقد كانت معظم مؤلفاته في العقلية البدائية ، ومعرفة كيفية تفكير البدائيين ، وهو يريد أن يقول إنّ البدائيين لايدكون الأشياء على نحو إدراكنا لها ، وأنهم لايعرفون مبدأ التناقض أيضًا .

وهو يطبق قانون الحالات الثلاث ، ويحاول أن ينتزع من التاريخ شواهد وأدلة على إثباته ، ويبين في مختلف كتبه أن التفكير البدائي تطور تدريجيًا كأستاذه « كونت » ، وماذاك إلا لغاية خبيثة في نفسه ألا وهي تشويه صورة الدين في نفوس الناس .

وسنتعرف بمشيئة الله تعالى – على آرائه في هذا الباب .

---

(١) المرجع السابق : صـ ١٥٧ .

محتويات الرسالة

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	ب
المقدمة	٢
التمهيد ويشمل : ـ	١٨
أولا : التعريف بالأخلاق	١٩
ثانيا: التعريف بالمدرسة الوضعيّة	٢٤
ثالثا: التعريف بأشهر رجال المدرسة الوضعية	٣٧
١ ـ أوجست كونت	٣٧
٢ ـ دوركايم	٤٦
٣ ـ ليفي بريل	٥٠
الباب الأول : دراسة الأخلاق عند المدرسة الوضعيّة . ..	٥٣
بين يدى الباب	٥٤
الفصل الأول : نظرية المعرفة عند المدرسة الوضعية .	٥٥
تمهيد	٥٧
المبحث الأول : مفهوم نظرية المعرفة	٦٠
المبحث الثاني :إمكان المعرفة	٦٣
المبحث الثالث : مصادر المعرفة	٧١
المبحث الرابع : النظرية الوضعيّة للمعرفة وفيه مطالب :	٨٣
المطلب الأول : عوامل ظهور نظرية المعرفة عند المدرسة الوضعية .	٨٤
المطلب الثاني: قانون الأحوال الثلاث وتفسير المدرسة الوضعية لتطور المعرفة من خلاله .	٨٨

محتويات الرسالة

الموضوع	الصفحة
أ ـ المناخ الذي ظهر فيه القانون	٨٨
ب ـ الصيغة العامة للقانون	٩٠
جـ ـ الخصائص المميزة للتفكير في الحالات الثلاث	٩٢
د ـ البرهنة على قانون الحالات الثلاث	٩٨
هـ ـ مقارنة بين منهجي التفكير الميتافيزيقي والوضعي	١٠٤
المطلب الثالث : مصادر المعرفة عند المدرسة الوضعية.	١٠٥
أ ـ شروط التفكير الوضعي للحصول على المعرفة .	١٠٦
ب ـ أساس العلم الموضوعي	١١٢
الفصل الثاني : الدين عند المدرسة الوضعيّة	١٢١
تمهيد	١٢٣
المبحث الأول : تعريف الدين	١٢٦
المبحث الثاني: بيان موقف المدرسة الوضعية من العقيدة الدينية .	١٣٧
المبحث الثالث: نظرة المدرسة الوضعية الى التفكير الديني .	١٤٧
المبحث الرابع:رأي المدرسة الوضعية في الدين السائد .	١٥٢
المبحث الخامس : اختراع المدرسة الوضعية لدين جديد هو دين الإنسانية .	١٥٩

محتويات الرسالة

الموضوع	الصفحة
المبحث السادس : جوانب دين الإنسانية :	١٦٣
أ ـ العقيدة	١٦٣
ب ـ العبادة	١٦٩
١ ـ العبادة الخاصة	١٧٢
٢ ـ العبادة الأهلية	١٧٢
٣ ـ العبادة العامة	١٧٣
الفصل الثالث : الأخلاق بين الثبات والنسبيّة	١٧٧
تمهيد	١٧٩
المبحث الأول : مفهوم الثبات والنسبيّة	١٨٣
المبحث الثاني : آراء المفكرين القدماء في الأخلاق من حيث الثبات والنسبيّة .	١٨٧
أ ـ رأى السوفسطائية	١٨٧
ب ـ رأى سقراط	١٩٢
جـ ـ رأى أفلاطون	١٩٦
د ـ رأى أرسطو	٢٠١
هـ ـ رأي أبيقور	٢٠٤
المبحث الثالث : الأخلاق في العصور الوسطى	٢٠٩
المبحث الرابع:الأخلاق عند المدرسة الوضعية	٢١٥
أ ـ أهمية الأخلاق في مذهب أوجست كونت	٢١٥
ب ـ الأخلاق كما عالجها أوجست كونت	٢١٧
جـ ـ رأى أوجست كونت في الأخلاق التي عاصرها .	٢١٩

محتويات الرسالة

الموضوع	الصفحة
د ـ أساس الأخلاق في المذهب الوضعي	٢٢٢
هـ ـ السمات الجوهرية للأخلاق في المذهب الوضعي	٢٢٨
١ ـ كونها حقيقية	٢٢٨
٢ ـ كونها نسبية	٢٢٩
و ـ العوامل التي أدت بالوضعية إلى القول بنسبية الأخلاق .	٢٣٧
الفصل الرابع : الضمير الأخلاقي عند المدرسة الوضعية .	٢٤٣
تمهيد	٢٤٥
المبحث الأول : تعريف الضمير الخلقي	٢٤٧
أ ـ في اللغة	٢٤٧
ب ـ في الإصطلاح	٢٤٨
المبحث الثاني : نشأة الضمير	٢٥٤
أ ـ الإتجاه الفطري ويشمل مذهب الحاسة الأخلاقية	٢٥٤
مذهب كانت	٢٥٦
ب ـ الإتجاه الكسبي ويشمل : المذهب التجريبي.	٢٥٧
المبحث الثالث :تفسير المدرسة الوضعية لنشأة الضمير	٢٦٠
المبحث الرابع : المقياس الخلقي عند الوضعيين .	٢٦٧
المبحث الخامس : مصدر المقياس الخلقي عند الوضعيين :	٢٧٤

محتويات الرسالة

الموضوع	الصفحة
أ ـ تعريف الظاهرة الإجتماعية وبيان صفاتها	٢٧٥
ب ـ صفات القاعدة الأخلاقية	٢٧٧
الفصل الخامس : موقف المدرسة الوضعية من علم الأخلاق النظري	٢٨٦
تمهيد	٢٨٨
المبحث الأول : هدم المدرسة الوضعية لعلم الأخلاق النظري .	٢٩١
المطلب الأول : المفهوم التقليدي لعلم الأخلاق النظري .	٢٩١
المطلب الثاني : موقف المدرسة الوضعية من هذا المفهوم .	٢٩٢
المطلب الثالث : نقد ليفي بريل لعلم الأخلاق النظري من خلال الأمور الآتية :	٢٩٥
أولا : تناقض الفكرة التي يقوم عليها هذا العلم .	٢٩٥
ثانيا : على فرض قيامه فليست هناك فائدة منه .	٢٩٥
ثالثا : قيامه على مبدئين غير مسلم بهما :	٢٩٥
أ ـ افتراضه ثبات الطبيعة الإنسانية في كل زمان ومكان .	٢٩٥
ب ـ وحدة محتويات الضمير الأخلاقي وعدم تجانسها.	٢٩٥

محتويات الرسالة

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني : علم العادات الأخلاقية وفيه مطالب :	٣١٠
المطلب الأول : الأساس الذي يقوم عليه هذا العلم .	٣١١
المطلب الثاني : القواعد الخاصة بملاحظة الظواهر الأخلاقية في المجتمع .	٣١٥
المبحث الثالث : ردّ الوضعيين على الإعتراض الوارد على علم العادات .	٣٢١

محتويات الرسالة

الموضوع	الصفحة
الباب الثاني : نقد المدرسة الوضعية وموقفها من الأخلاق على ضوء الإسلام .	٣٢٥
الفصل الأول : نقد موقف المدرسة الوضعية من العلم والدين على ضوء الإسلام .	٣٣٠
تمهيد.....	٣٣٢
المبحث الأول : تقدير الإسلام لدور الحس والعقل في المعرفة .	٣٣٥
المبحث الثاني : قصور ومعرفة الحس والعقل .	٣٤٨
المبحث الثالث : قصور العقل البشرى عن إدراك عالم الغيب	٣٥٢
المبحث الرابع : حاجة البشر إلى الرسالة .	٣٦٢
المبحث الخامس : ضلال المدرسة الوضعية في نظرتها للعقل والدين .	٣٦٨
الفصل الثاني : نقد موقف المدرسة الوضعية من الأخلاق على ضوء الإسلام .	٤٠٨
تمهيد.....	٤١٠
المبحث الأول : نقد المذهب الوضعى في دراسة الأخلاق .	٤١٢
المبحث الثاني : قصور العلم الوضعي عن معرفة الخير والشر ووضع مبادىء الأخلاق .	٤٣١

محتويات الرسالة

الموضوع	الصفحة
المبحث الثالث : نقد التفسير الوضعى بنشأة الضمير الأخلاقي	٤٥٠
المبحث الرابع : التفسير الوضعى لمصدر المقياس الأخلاقى .	٤٦٤
المبحث الخامس : نقد المذهب الوضعى في صفات القاعدة الأخلاقية .	٤٧٢
المبحث السادس : نقد المذهب الوضعى في مقياس التفرقة بين الظاهرة السليمة والمعتلة .	٤٩١
الفصل الثالث : نقد المدرسة الوضعية في القول بنسبية الأخلاق على ضوء الإسلام .	٤٩٥
تمهيد.....	٤٩٧
المبحث الأول : آثار القول بنسبية الأخلاق وموقف الإسلام منها .	٤٩٩
المبحث الثاني : در الأسس التي اعتمدها الوضعيون في القول بنسبية الأخلاق .	٥٢٨
المبحث الثالث : الإسلام ونسبية الأخلاق	٥٤٢
الفصل الرابع : الأخلاق في الإسلام	٥٦١
المبحث الأول : الخصائص العامة للأخلاق العامة في الإسلام	٥٦٥
أولا:الربانية.....	٥٦٥
ثانيا:الشمول.....	٥٦٨